

الدكتور رضي طه عابد

في سَبِيلِ مَوْسِعَةِ فَلْسُوفِيَّةٍ

ابو العلاء المعري

أبوالعلاء المعرّي  
"مبصّرَيْن عميَان"





فِي سَبَبِيَّل  
مُوسَوِّعَةٌ  
فَلَسْفِيَّةٌ  
٤

أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ  
”مُبْصِرُ بَيْنِ عَمَيَانِ“

تألِيف  
الْأَنْتَاجِ حَلِيلِ سُرْفِ الْأَنْجَنِ

مَنْشُورَاتٌ  
هَارِقَةٌ لِعَلَيْهِ الْهَلَلُ

جميع الحقوق محفوظة للناشر

١٩٩٥

**دار و مكتبة الهلال للطباعة والنشر**

بز العبد - شارع مكينيل - بناية برج الشامية - ملك دار و مكتبة الهلال

تلفون: ٨٣٦٦٥١١١٢٣٠١٠٨٧٦٦٧٧ - فاكس: ٩٦٣٠١٢٣٠٣٠٠٥٠١٥ - بيروت لبنان



« كان ابو العلاء برجا يرتفع وحيدا  
عليها ، في مفارقة البشر . وفي  
الجهات كلها يرى وينتلا .. »  
ادونيس

طرفا حياته : وجودان .. وجود مفروض  
وجود مرفوض ..  
وفوقهما عقل يعتقدن كبرياته .. وفكره ..  
ليتأبى على ليلين :  
ليل العمى .. في دنيا العمایة ..  
وليل الجسد في مستنقع الدنس ..  
وحق لفیلسوف المرة أن يتتجاوز عصره ..  
وناس عصره ..  
فليس لثله .. مثل عصره .. ولا لعلمه ..  
مثل عقول الموتى ..  
منبني جنسه ..

عزاؤه الوحيد : انه لم يجن على أحد ..  
وكذب الكثيرون .. على الواحد الأحد ..  
وهو لم يكذب ..  
وقد الكثيرون .. وهو لم يقلد ..  
فكان نبيا .. رحانيا .. في عصر من الظلم  
وقوم .. من المجروس ...  
وعزاء قرنه .. انه ضم بين المطلع .. والختام :  
ثائرين اكبيرين .. بل رافضين أوحدين :  
أبا الطيب .. وأبا العلاء ...

### ظاهرة العصر :

كان طبيعياً أن ينهاي كل شيء في العصر العباسى الثالث (القرن الهرى الرابع) كدولة ومؤسسات ومجتمع . وأن يزدهر - في الوقت نفسه - كل شيء من أشياء الفكر ، فتبلغ الفلسفة أوجهها ، وتحرك علم الكلام نهايتها ، والشعر قمته ، والنشر أعلى مراقي بلاغته ، وانتق صوره ، فأصبح وكأنه فسيفساء ترقص بها جدران الأدب العربى وسقوف منزله ، بالرغم من أن سكان هذا المنزل بدأو يغادرونه واحداً بعد واحد . . . أما العلوم وهي الوجه الآخر للتفكير ، فقد حققت في هذا العصر نصراً مبيناً ، لا سيما في ميادين التطبيق والممارسة ، وانعكاس كل ذلك على الإنسان العربي في تفكيره وسلوكه ،

ونتاجه : أي في حضارته ..

هذا الإزدهار الفكري العضاري كان - كما يقول ابن خلدون - ظاهرة طبيعية بعد قيام الدولة ، وابان تمازج العرب ، أصحاب العصبيتين ، بغيرهم من الأمم ذوات العضارات العريقة . ثم أخذهم عنها عاداتها وتقاليدها ، ومعطيات فكرها ، وهضم كل ذلك (١) وتمثله واغنائه وتأصيله ، وبتعبير آخر : تعريبه بكل ما في الكلمة تعريب - هنا - من تفرد واصالة وشوق الى الافضل ..

وكان نقطة التحذب ، أو قمة العطاء في هذة الدائرة الذهبية ممثلة بهذا العصر أو قريب منه ، كما كانت القمة نفسها نذيرًا بالانحدار الوشيك ، اذ ما لبست أن تخلخلت وتصدعت ومال بها حملها نحو الحضيض السعير . فهو رغم تماسكها زماناً امتد حتى ابن رشد في الفلسفة والمربي في الشعرا ، والبيروني في العلماء ، وابن عربي وابن الفارض في الصوفيين .

---

(١) نعم يكتب وظفها المقادمة الجديدة القائلة : ما لا يلطف لا يكتب ، وما يكتب فهو صورة الصيغة لا البديلة مثل كتبوا هاكلنا ، لكن هاكلنا لم يوافقو ومنهم ليلاً الموجودة في المستحسنا . للتفصيل اطلب كتابنا « ابن خلدون » دار الهلال - ١٩٧٩ - بيروت - المؤلف او النظر اخر هاذا الكتاب .

هذا العتقل أو هاذا التمدد يعتبره ابن خلدون كذلك ظاهرة طبيعية مثلاً اعتبر التماست نفسه . ظاهرة الازدهار تحمل دائماً في طيات أمرارها ، جرثومة الانهيار : فكما ان لكل شيء نهاية كذلك هي حال الازدهار . والمجتمع كالإنسان خاضع لقانون التطور الطبيعي . فلم يكن غريباً أن يرافق الانهيار الازدهار أو يتولده عنه وفقاً لمبدأ الملة والمعلول أو حتى ظهور الشيء متى توفرت أسبابه .

وأبو العلاء - أذن - ظاهرة طبيعية من حيث مفهومنا لقانون التطور في المجتمع والفكر . أذ من الطبيعي أن يمثل أبو العلاء في عالم الشعر والفكر والنشر منتهى درجات التطور التي بلغها العرب عصر ذاك . وأن يمثل في الوقت نفسه جرثومة ذلك الانهيار .

لأنه ظاهرة غير طبيعية ، أو هو نسيج وحده ، حين نقشه بانسان عصره : رجل دين كان هاذا الانسان ، أو سياسة ، أو فكر ، أو سلوك . هنا يبرز أبو العلاء انساناً مغايراً . متميزاً انساناً رافضاً : أي جديداً .

و هنا تكمن ثوريته . . . وبالنالي تخطيه لزمنه  
ومجتمعه وأوضاعه . . .

و حين تتغذى الثورية عنصر الرفض الارادي  
العملي أو التحدي المسلح - كما فعل المتنبي -  
يصبح معها الثائر مضطرا الى التباطي مع الغير  
بنفس أسلحة هذا الغير : من مرونة تبلغ أحيانا حد  
الانكسار .. ومن ميكافيالية تندر الى مستوى  
التزلف أو التامر .. أو التراجع من أجل الهجوم ..  
والهجوم من أجل التراجع الاستراتيجي ، كما  
يقول عسكريو اليوم ..

## فالغاية تبرر الواسطة عند بعض الثوار المكيافيليين العاديين ..

والمتتبّي لم يستطع الا أن يكون بعض هؤلاء ، في بعض المواقف وبعض الظروف .. مع علمه بأنّ ناس عصره ، لا سيما العكّام منهم « أحق بضرب الرأس من وثن » فقد تعاطى مع أكثرهم . من أجل تغييرهم ؟ ربما .. ولكنه انعدر مرارا الى أقل من مستواهم ..

و عذر، عندى، انه انسان، كان يرید - شيئا

ما - في ثورته .. فغانته أدوات هذه الثورة ، وان  
لم تغنه شجاعته وباوه وعناده ..

وحين عبر ، بالعرف الناري ، وحرقة البطل ،  
عن تعلماته وانكساراته اكتسبت ثورته ، او  
ثوريته ، صفاتها الأصيلة ، وعوضت عن خسائرها  
المادية ساعة انقلبت انشودة « رولانية » يغනيها  
التأثيرون ، وأهزوجة يرتلها المغامرون .. فعبرت  
ـ هاكذا ـ من دائتها الزمنية الضيقة ، من دائرة  
التشرذم .. لتدخل دائرة الفن .. وراحست تنز  
جراحا .. وتنبض حياة .. وديعومة ..

اما ثورية أبي العلاء فكانت من نوع آخر ،  
لعله أشمل وأبعد مدى ..

لم يتعامل شاعرنا مع ناس عصره ، ليكشفهم او  
يغيرهم او يستغلهم . او يصل من خلالهم كما فعل  
المتنبي - على عظمة وايجابية ما فعل أبو الطيب -  
بل رشى لهم ، وتعامل مع نفسه أولا .. ثم مع  
الوجود مباشرة .. فبدأ له الوجود بالنظر التأملني  
الثاقب : سخيفا ورائعا في آن : سخيفا عندما  
ينقلب المسلح بطلًا في غفلة من الزمن ، ويظن القزم  
نفسه عملاقا .. ويتصرف كل منهما على هاذا

الاساس .. سخيفا حين يزيف العكام وظيفتهم  
فينقلبون جلادين للشعب بدل أن يكونوا أجراءه ..  
سخيفا يوم يرى رجال الدين يمشون في الناس  
باثقالهم وأوزارهم وَصَفَارِهِم .. ويتخذون من  
الدين مطية .. مجرد مطية .. حتى يستدعي  
الأمر الشك بالدين نفسه .. سخيفا عصر تنقلب  
المقاييس ، وتطاحن القيم ، والقيمون عليها شاهدو  
زور ، وأعلامهم في معيار الشرف والانسانية أدناهم ،  
بل أقربهم في طباعه الى طباع البهائم ، وسورة  
الكلاب ..

ورائعا .. حين يرفض المقل كل هاذا .. أو  
يتعرى من كل هاذا .. فينقلب انسان هذا المقل  
نمودجا .. بعد أن كان ظلا ، ورسمأ بعد أن كان  
اسما وبضعة من حياة .. رائعا .. لحظة يحس  
أنه قادر على التعبير والتفجير .. ويحاول .. يحاول  
التفجير .. والتدمر .. لا يبقي ولا يذر .. وكل  
سلاحه : لا سلاح .. سوى العقل .. الكلمة ، والكلمة ..  
القنبلة .. كل سلاحه : موقف .. ولا حياد ..  
وسريرية .. ولا تجريح .. ورثاء .. ولا بكاء ..  
الا نسمع من خلال أبي العلاء صوت سقراط  
يقارع السفسطاني غلوكون العجة المسع بالعجبة

القدوة .. وبين سؤال ساخر وبدائيات لا يجيب عنها غلوكون بسوى الصمت العاجز .. تنفجر المهللة - المأساة ؟ ! ..

وغلوكون أبي العلاء هو الوجود والوجود ..  
والفيب والمصير ، وما وراء العجائب .. هو السر  
والطلسم والعالم الاكير والعلم السراب ..  
ل لكن أبي العلاء يبعث بالسر ويلهم بالطلسم  
ويهتك ما وراءهما ويفضح اللعبة .. فينكشف  
اللاعبون ..

ول لكن الوجود قائم على استمرار اللعبة واحتياج  
اللاعبين .. في مسرحية كونية أشبه بمسرح الدمى ..  
تحت عنوان : عبئية العيادة .. أو لعبه العبث ..

هنا يبدو الشاعر ثائرا لا بوجه البشر بل بسر  
وجود البشر .. لا بالانسان المشوه ، وقد جعلوه  
أحقر من ذبابة .. بل بالسبب المجهول الذي أدى  
الى تشويعه .. ثورته اذن ليست على ارض الواقع  
بل على .. المجهول من امر هذا الواقع ..

عمى .. ولا تشاوم :

اما عماه فلم يكن هو السبب الاول والآخر في

ما يسمونه تشاوما علائيا ٠٠ وحربي بنا أن نسميه  
شكرا و «قرفا» : عنصران كونا نواة رفضه ٠٠ بل  
كان عياه العافز المباشر ٠٠ فوراء هذا العافز نفس  
قلقة لو أعطيت ألف نور ٠٠ في ألف مشكاة لما حادت  
عن عنفها المدمر ٠٠ وحرفها - اللهب ، تحرق به  
شواذ الاشياء ٠٠ ولا تطمئن الا على ركام الرماد ٠٠  
والأعمى - بعد كل هاذا - يتصور الاشياء  
ضبابا ، والألوان بلون الرماد ٠٠

لو أتيح لأبي العلاء أن يصر لتجسد أمامه  
ال بشاعة ولبصق عليها ٠٠ دما ٠٠ لكن دون أن  
يزيد شيئا ٠٠ فقد أعطى - بهاذا - كل شيء ٠٠

كانت البشاعة صورة تعكى عنها الاساطير  
عنه ٠٠ فتقرع أذنيه ٠٠ ويتقزز منها الكيان  
الشاعر ٠٠ وها هي تبرز واقعا مرئيا بالعين ٠٠  
والعين تعدد الابعاد ٠٠ وتعين الاطار ٠٠ غير انها  
لا تدخل الى الاعماق ولا تسبر ما وراء الصورة  
من تهاوبل وظلال وحقائق ٠٠ فليسقط الافتراض  
اذن ما دامت الباصرة حادة ضعيفة السلاح ٠٠  
مهزوزة الرؤية ٠٠ وما دامت البصيرة تحل مكانها  
٠٠ ما دامت ترى بنورانية أشن وأنفذ وأبعد ٠٠

أريد أن أقول ان الذين يردون نسمة أبي العلاء  
على الكون والكائن في عصره الى عماء ، وانه لو لم  
يكن أعمى لغيرت الحال غير الحال ٠٠ هؤلاء  
متسرعون ، ان لم أقل مخطئون ٠٠

صحيح ان العمى بلاء مادي وأي بلاء ٠ الا انه  
ـ عند الملهمين ـ ليس سببا أول لرفض الوجود ٠٠  
والوجود ٠٠

كثيرون من فقدوا أبصارهم استبدلواها برؤيا  
بصارهم ٠٠ وأقبلوا على الدنيا اقبال المبصرين ٠٠  
وأبدعوا في العديد من مجالات الحياة والفكر ٠٠  
وعاشو عيشة راضية مطمئنة ٠٠

هوميروس كان أعمى ٠٠ وجده حسين كان أعمى  
٠٠ وبشار كان أعمى ٠٠

وسيرة هؤلاء لا تتم عن تشاوُم كابن الرومي  
المتشائم المتظر ٠٠ المبصر ، بل عن تقبل للحياة ٠٠  
وأقبال عليها ٠٠ وأحيانا عن ثورة وغضب سلبي  
مدمر ٠٠ وهذا لا يسمى تشاوُما ٠٠ ناهيك ببشار  
الضاحك الساخر ٠٠ المجدد المبدع ٠٠ المقبل على  
الحياة ٠٠ وموائد الحياة ٠٠ اقبال الواقع الشره ٠٠  
الأكول ٠٠

فلم اذا ينسب هؤلاء تشاوٌم أبي الملاء الى عماه؟  
ثم لماذا يسمونه تشاوٌما؟ ٠٠٠ لماذا لا يردون السبب  
الى نفسيته وتكوينها ٠٠ الى بسيكولوجية هذا  
التكوين ٠٠ وعلاقة هذا الكائن « النظيف » اذا  
صح التعبير بعصر هو من أوسن المصور العربية ٠٠  
او هو بداية تردي العرب في حماة العفن والدنس  
٠٠ ومستنقع الظلم والذل والهوان ٠٠

لماذا لا يسمون ذلك التشاوٌم المزعوم قرفا  
وصل بأبي العلام حد الفثيان ٠٠ او تردا انتهى  
به الى الشك القاتل ٠٠ او فهما أصبح لحقيقة  
الأشياء ٠٠ انتهى بفلاسفة الى درجة او حالة  
تشبه الكشف الصوفي ٠٠ لكنه كشف لا يتجلّى فيه  
الله او يحل ٠٠ بل هو كشف علائي تتعري فيه  
الحقائق مما لحق بها من زيف وزور وبهتان ٠٠

ثم تقدّف بكل عريها على عدسة العقل والحواس  
فيتلقّاها العدس العلائي فيعبر بها الى دنيا الوضوح  
الواضح او الناضج لا فرق فاذا بها تؤذى الاذن  
العربية التي ما اعتادت سوى الرنين الاجوف  
والصدى المزور ٠٠

وقبل هذا لماذا لا يرّبطون بين امامه العقل عند

أبي العلاء ، أو نبوة هذا العقل ، وبين عصر لم يضع فيه شيء كما ضاع العقل ٠٠ وعلى يد أدعياء العقل وأدعياء الدين ٠٠

عما قليل وبعد قرن من الزمان سوف يكرس الفرزالي هذا الضياع العقلي ، فيطلع علينا – بكل جرأة المؤمن المفلق – بنظرية الاتفاق والمادة مبطلاً السببية الطبيعية : أساس كل عقل وفلسفة وعلم ٠٠ هاكذا مجاناً ولو جه عقیدته الاشعرية ودفعاً عن المعجزة ٠٠ كان المعجزة لا تبرر الا بانكار مبدأ هام هو مبدأ السببية الطبيعية الذي قامت و تقوم عليه العلوم جمِيعاً و يتمحور حوله الكون نفسه منذ فكر أرسطو حتى اليوم ٠٠

لو فعلوا ذلك وتبينوا الموقف العقلاني العلائني الكامن وراء نعمة أبي العلاء وثورته وشكه ، لما قالوا : انه العنى ٠٠ وانها النزوة العاطفية المقلبة ، والشعور بالذل والعجز أمام الآخرين ٠٠ عوامل قادت أبا العلاء الى أن يخبط في ظلماء الحياة ، ووعثاء السفر على درب الحقيقة الطويل ٠٠ فقادرته ريشة في مهب الريح ٠٠

كلا ٠٠ لو نظروا نظرة أعمق لحقيقة هذا

الانسان ، و موقفه من الحياة والاحياء ، و ثقافته ،  
وعصره ، لما قالوا انه انسان متشاري و كفى .. فهذا  
صفة عابرة وحالة لا تدوم .. وهي تعبير انساني  
اكثر منه فلسفيا .. على أي حال ..

والواقع ان ابا العلاء في صباح و قبل ان يتلقى  
المدمة - الاهانة في مجلس الشريف المرتضى في  
بغداد ، و قبل فقده لأبيه ، ثم امه ، كان غير متشاري  
على الاطلاق ، او على الأصح ، غير انطوائى ..  
كان يستمع الى الفنان ، ويؤم مجالس الطرب ،  
ويحضر المنافسة العقلية في لعبة الشطرنج ، ويعطى  
رأيه في اللعبة واللاعبين ، و يصف تأثيره بالفنان ،  
ولو لم يفهم كلمات الاغنية أحيانا ، كما حدث له  
حين استمع - في حلب - الى مغنية تركية . فقال  
واصفا تأثيره بعلاوة صوتها :

« ورت كبدي ولم أفهم شجاها »

فكيف يكون عماه - أساسا - هو مصدر تشاومه؟  
ثم كيف يسمى اعتزاله وحبسه الطوعي لنفسه  
تشاؤما و يأسا؟ .. وهو الذي كانت داره المتواضعة  
في المرة محجة العلماء ومقصد الطلاب من كل

نوع ، يعطيهم ولا يمل المطاء .. ويستمعون اليه  
ولا يملون الاستماع .. كأنهم مریدون في حضرة  
شيخ صوفي .. ينسون أنفسهم في غمرة الجذب  
والانجداب .. لم يكن ذلك اذن تشاواما ولا يأسا ..  
كان قرفا وبعدا عن التافهين والمتاجرين بالناس  
والعقائد والاديان ، ونأيا عن الظلمة الطفأة  
مصاصي دماء المساكين والضيفاء ..

كل ما في الأمر انتا - في أكثرنا - مؤلفون  
اتباعيون ، لا دارسون او محققون .. لا نجرؤ على  
قول الحقيقة في ما نؤمن انه حقيقة ولو تجلت لنا  
في ضمائرنا نقاية واضحة ..

ونحن لا نفهم شعرا عنا وتفكيرينا - مع الأسف -  
الا كما فهمهم الآخرون من عمالقة التاريخ وكبار  
مزوري الحقائق ومشوهي الشخصيات وعلى  
الأخص القدامى منهم الذين جاؤوا قبل عصر  
الاستشراق ، هذا الاستشراق الذي مهما قيل فيه  
وفي أصحابه ومهما روی عن تعیزاتهم واقليميتهم  
ونعراتهم الصليبية فلأكثرهم يعود الفضل في  
اكتشاف شخصيات عربية واسلامية كانت حقائقها  
مفورة تحت بصر من التعصب الدميم وسوء الفهم ..

من هؤلاء الذين اكتشفهم المستشرقون  
وتلامذتهم العرب : الباحظ كما يجب أن يفهم ،  
وابن الرومي ، وأبو حيان التوحيدي والمتنبي ..  
والمعري .. لكن هذا الاخير لم تعمد حول حقيقته  
وحقيقة معتقده دراسات مستفيضة جادة الا في مطلع  
هذا القرن وعلى يد طه حسين بالذات ثم بنت  
الشاطئ .. ومن هنا نحوهما ..

ولعل طه حسين كان أقرب الجميع الى فهم أبي  
العلاء نظراً لتشابه شخصياتهما وتماثلها في العمى  
المادي والذكاء والعقلاوية والنقد والسخرية وفهم  
الوجود ..

### هذا في الأدب :

اما في العلوم كالرياضيات والكيمياء والفيزياء  
والبصريات والميكانيك والفلك والجغرافيا فلم نكن  
لنعرف عن علمائنا فيها ولا عن اكتشافاتهم العلمية  
 شيئاً عن طريق مؤرخينا القدامى الذين مرو بهاؤلاء  
مرور الكرام .. حتى جاء الدارسون المحققون من  
عرب وأجانب أمثال بروكلمان ومرغيلوث ودوزي  
وجب وجورج سارطون وبوتوول ثم ساطع العصري

ومحمد عبد الله عنان وعادل زعيتر وقدري حافظ  
طوقان . . . الخ . . . فعرفنا من يكون الرازي وابن  
الهيثم والغوارزمي والبيروني وابن خلدون ، وما  
هو فكرهم وطراائف بعثهم ومكتشفاتهم ومدى  
اسهامهم في تكوين نواة الحضارة الأوروبية . . .

وحتى اليوم لا يزال باحثونا الاحرار واقعين  
تحت تأثير وهيمنة النقاد السلفيين :

هكذا مثلا : رواد الشعر الحديث أصحاب النظرة  
الانقلابية في مفهوم الشعر العربي شكلاً ومضموناً  
وروحاً . ما هو حالهم أمام أولئك النقاد  
الكلاسيكيين ؟

ان وصمة العار وتهمة الأمية والنقل عن الغرب ،  
والخروج على المؤلف أقل ما الصق بهاؤلاء الرواد  
من تهم . لماذا ؟

لأن فلاناً من كبار المنشعين وغلاة الكلاسيكيين  
قد شدد النكير عليهم ، واتهمهم ظلماً وعدواناً  
بالأمية والجهل بالبلاغة العربية واللغة الفصحى  
وقوانين الشعر وحدوده — كان للشعر حدوداً  
وقوانين . . . — والحقيقة هي أن فلاناً هاذا أولى

بتهمة الجهل من أولئك : الجهل بمنطق التطور  
وسنة الحياة وأبسط مفاهيم الشاعرية الحديثة  
العقة وان الوقوف عند حدود الخليل وقوانينه  
ايقاف للحياة وتجميد للروح وكفر بحقيقة البعث  
في الشعر والقيامة للشعراء من بين الركام وقبور  
الموتى      . . .

الشاعرية يا هؤلاء ، ونقولها مع نقاد الشعر  
العر ومنظريه : الشاعرية لم تعد – اليوم – صناعة  
الفاظ وصب قوالب وموسيقى خارجية تنبعث من  
خلال قصبات الأوزان والمعروف المجوفة أو  
الجوفاء . . . لتحدث جرساً كلامياً مكروراً  
ومسطحاً . . .

الشعر – يا هؤلاء – هو ذلك النور القدسي  
الذي يشع من الكائن الانساني الملهم . . . والنور  
– كما نعلم من علم الضوء – حين يتأنطر أو يصطدم  
بجسم ما ينكسر أو ينبعض . . . ولا يلبث أن  
ينطفيء . . .

هذا هو شأن النور أو الضوء المادي فكيف  
بالنور المنبعث من الكائن الانساني . . . أي ذلك

النور الالاهي الذي لا يمكن أن يحدده حد أو تمسك  
به قافية .

والشاعرية الحقة - حتى في النثر الفني - فلذة  
حياة تسكب سكبا ايقاعيا في كلام ايعانى ٠٠ بل في  
حروف ونقاط مشعة ٠٠ وهادا ما نسميه بالقيم  
التعبيرية والظلال النفسية المحيطة بها ، وكيفية  
التعامل التقني مع التجربة الشخصية ذات الارضية  
الواقعية المعاشرة والابعاد الانسانية ٠٠ فاذا  
بالقصيدة العرة ، أو قصيدة النثر ، أو النثر  
الشعرى - سماها ما شئت - مع قياس الفارق -  
تصبح ملكا للانسانية جماء ، حين تترجم ، وملكا  
لكل فرد من افراد الامة قادر على التذوق والكشف ،  
ومشاهدة نفسه من خلالها ٠٠

والحديث هنا ذو شجون، تقف به عند هذا العد ،  
كي لا نقع في الاستطراد . أما في الدين ، فالمصيبة  
كانت أكبر ، حين تجرا المفكرون المتعربون من  
فلسفه وعلماء كلام على دخول متأهاته ، وفك  
أسراره ، لكثرة ما دخلته الأسرار والأساطير  
والافكار الحشووية الغريبة ، والاسرائيليات  
المدسوسة ، وبالتالي جعله دينا عقلانيا أو دين

حياة وانسان ونظام ٠٠ فكان ان اصطدم هاؤلاء  
- ولا يزالون حتى اليوم - بعمادة الدين من  
السلفيين النصيين ، اي بالذين لا يقولون بالعقل  
طريقا الى فهم النص القرآني ، والحديث النبوى ،  
او يقولون بأن العقل أداة محدودة وبالتالي عاجزة  
فيكتفون بأخذ النص عن السلف كما هو ، فلا  
يؤولون ، ولا يجتهدون ٠٠ ولا ٠٠ يعقلون ٠٠ عفو  
عقلاتهم وما أقلهم ٠٠

فأبو العلاء - بهذا المقياس العقلي لا الاتباعي  
او السلفي - يبرز شخصا آخر بعقلانيته وتفرده  
واحتضانه لذاته وجوده وایجابيته ٠٠ فلا يأس  
من عمي ٠٠ ولا تشاوٌ ٠٠ ولا انطواء ٠٠ يبرز  
انسانا مقبلا على الحياة ٠٠ من خلال الذات ٠٠  
والصالح من الاحياء ٠٠ من خلال المربيدين ٠٠  
والدعاة ٠٠ من طلابه ٠٠ وما أكثرهم ٠٠

ونعني بالاقبال على الحياة : من خلال الذات ٠  
توقف الشديد الى اغفاء هاذه الذات بجميع معارف  
عصره ٠ ليطل بعد ذالك على الاجيال في كل زمان  
٠٠ وكأنه يقول لهم : هاذا هو نموذج الانسان  
العقل المثقف المف الشاعر ٠٠ فكونوه ٠٠

حتى محاسبه الثلاثة ٠٠ لم تكن - بعد هاذا -  
وفي نظري على الاقل - محاسب ضيقه مظلمة  
يائسة : كانت محاسب مشعة بالف نور ٠٠٠

فمن سويداء الباصرة الى ضياء البصيرة ٠٠  
ضياء يكشف المجهول ٠٠ ويعرى العقيقة ٠٠  
ويسخر من اللعبة واللاعبين ٠٠

انه الموقف نفسه يقفه المبصرون في كل زمان  
ومكان :

فولتير ٠٠ بودلير ٠٠ مولير ٠٠ اكليروس ٠٠  
ملوك ٠٠ جلادون : أسماء ٠٠ أسماء ٠٠ أسماء ٠٠  
أشباء ونظائر ٠٠ أضداد ٠٠ اتصال النار بالنار ٠٠  
لا أدرى لماذا تقفز الى ذهني ٠٠ كل هاذه المتضادات  
كلما ذكرت أبا العلام وعصره ٠٠ وناس عصره ٠٠  
لعله الموقف نفسه ٠٠ والنظرة نفسها ٠٠ والحقيقة  
نفسها ٠٠ ربما ٠٠ والفضل دائمًا لأبي العلام :  
لأنه المتقدم زمناً، والاعلى صوتاً، والأشد انبهاراً  
 أمام الفاجعة ٠٠٠ أو لأنه الالحق بها ٠٠ والاعمق  
 شعوراً مأساوياً ٠٠٠ وبعد ٠٠ فالعمى - المبصر  
 ليس معبساً ٠٠ ولا قيداً ٠٠

والمحبس الثاني : الجسد ٠٠ لم يعد - هاكذا -  
محبسا ٠٠ فجسد تحرر اراديا من كل لعم ٠٠ ودم  
٠٠ وجنس ٠٠ جسد شفاف نوراني يسير به عقل  
وبصيرة في عوالم فوق التراب ٠٠ والدنس ٠٠  
والشهرة ٠٠ جسد لا يمكن أن يكون شيئا ثقيلا ٠٠  
ولا قيدا ٠٠ ولا سجنا ٠٠ ولا شيئا من هاذا ٠٠

والمحبس الثالث : المنزل ٠ ماذا يضم ؟ كل ما  
يضم : عينان منطفئتان مبصرتان وراءهما عقل  
نفذ ٠٠ وجسد شفاف ٠٠ واذا الكل : مشكاة  
متوجهة تهب النور لفاذديه ٠٠ والمنزل المتوجه  
معها ، ينقلب محجة ومنارة ، يضج كل يوم بعركتي  
الطعام والأخذ ٠٠

فكيف يكون مثل هاذا المنزل - المورد صومعة  
نائية ، أو دهليزا مظلما ؟ وبالتالي سجنا ؟ ٠٠

التسميات لم تعد تهم ٠٠ ما دام أبو العلاء  
خارج محاسبه دائمًا ٠٠ يتعامل مع السوى باستمرار  
٠٠ حتى نفسه ينظر اليها من خارج ، سلططا عليها  
أضواء العقل ، كاشفا غيابها ٠٠

اما الخيال ٠٠ فعيل نوراني له اول وليس له  
آخر في مغيلة أبي العلاء ٠٠

وهو خيال مميز عن الخيال العربي .. انه خيال تشخيصي مسرحي قادر على خلق العالم التي يشاء .. والشخصوص التي يريد .. وتوزيع الأدوار .. يطرح عليه ابن القارح سؤالا دينيا عاديا في رسالة عادية .. فاذا بالسؤال وصاحبه ينقلبان موضوعا مسرحيا نقديا ساخرا على الطريقة العلائية ، والمسرح : الجنة والنار .. والبطل رب الارباب .. والخاتمة : لا خلاص .. ويسدل الستار .. ليرفع بعد ألف عام عن : الكوميديا الالهية : حفيدة رسالة الفرقان !! لم لا ؟

ـ ان خيالا كهذا لا يمكن ان يكون خيال سجين عادي .. مقلق ..

### الشاعرية :

تميزت شاعرية أبي العلاء بخصائص شوهدت ببعضها آفة مصر : فسيفساء البلاغة الترصيمية ، والتعلق الشديد بلعبة المجانسة والازدواج والتلوينات الصوتية المختلفة ، والتباهي بالقدرة على نبش قبور الكلمات الميتة ، لا بقصد احيانها ونفخ غبار الموت عنها بل بقصد تعنيطها ونقل

رفات رميمها من ضريح التاريخ .. الى ضريح  
ال قالب التعبيري الاجوف .. وحين ادلى أبو العلاء  
بدلوه برز ماتحا كبرا بل نابشا قديرا للدفين  
الاقدم من مواتها .. ولمل الخيال هو الجانبي هذه  
المرة الى جانب الثقافة اللغوية المعمقة ، حين راح  
يرفده بالكثير الغزير من ميت الالفاظ ووحشى  
الكلام ومستغرب الصيغ والتراكيب .. حتى انه  
راح « يعبث » باللغة في اللزوميات وبالشعر ..  
وينعت ويغترع ، ويضع لروي القافية نظاما  
خاصا .. وهو في كل هذا اقرب الى عبث الوليد من  
« عبث الوليد » .. فالبعترى يظل في ديناجته ولا  
سيما « سينيته » العملاقة ارفع من أن يعبث باللغة  
أو يلهو كما عبث أبو العلاء في لزومياته ، ولها ..  
وهو يعترف بأن ذلك كان لزوم ما لا يلزم .. انها  
آفة العصر والفراغ القاتل .. ولا شيء سواهما ..

على أن هذا العبث لم يكن صفة دائمة في  
اللزوميات ولا خاصة ملازمة لأبي العلاء في كل  
شعره فهناك قصائد تاملية وأخرى ساخرة ، وثالثة  
نقدة متفلسة يبيث فيها جميرا حكمته وأراءه  
ومواعظه .. وهو قد أحس بذلك حين قال : أنا  
وأبو تمام حكيمان والشاعر البعترى ..

كأنه يعتبر العكمة أو الفلسفة في الشعر أرفع  
من الشعر أو هي تخرج به عن دائرة « شاعرية »  
البحتري المسطحة في نظره ٠٠٠

ومهما كان موقفنا من رأي أبي العلاء هذا ، فإن  
له فلذات شعرية يقف بها إلى جانب كبار الشعراء  
العالميين ، لما فيها من توثب وصفاء وحرارة نفس  
انسانى وشطح ملحمي يرود الاسطورة ويتخطى  
التاريخ ٠٠٠ ولا يفلتها أو يشع فيها من روح قلقة ،  
وشك ، وعمق احساس بالفاجعة ٠٠٠ أو المصير  
المأساوي للانسان ٠٠٠ وسخرية القدر ٠٠٠ ومبشرية  
الحياة ٠٠٠ وجبريتها ٠٠٠ وقسوتها ٠٠٠ وتفاهتها ٠٠٠  
والانسان ذالك العملاق – القزم ، رهن لمشيئة  
مجهول قد يكون حقيرا وقد يكون خطيرا ٠٠٠ لا  
يدري من أين جاء ولماذا جاء ٠٠٠ والى أين سينتهي  
وكيف ؟ هل هو حقاً جدير بالبكاء أم بالرثاء ؟  
يقولون له : اعمل ٠٠٠ ملن يعمل ؟ ! ٠٠٠ لنفسه وهو  
لا يدري من أمرها شيئاً مهما تفلسف ٠٠٠ انها  
طلسم اضطر إلى مرافقته يجسده لا يليث معها إلا  
قليلًا ٠٠٠ أم لغيره ٠٠٠ وهذا الفير أحرق من أن  
يضحي من أجله ٠٠٠ أم ٠٠٠ حول هذه الامرار حوم  
شعر أبي العلاء ، وهمام بروحه وفكره فوقها

وتحتها معاولاً - كالخيام - اختراها .. فلم  
يستطيع .. وحسبه انه دنا منها أكثر من غيره ..  
ورنا بكل الق فكره وروحه اليها .. فتحطم ..  
وكان التعبير الملهم عن كل ذلك التعوييم والتهويم  
أحرفا نارية في أسلوب ثوري ، وروح ساخرة ،  
لا سيما أمام الذين يزيدون المأساة الكونية مأساة  
.. من سخفهم وحقارتهم .. أو من ظلمهم  
واستبدادهم وتشويههم للحقيقة ، وللآخرين ..

ترى .. هل هي طبيعة الموجود وأساس تكوينه  
.. أم أن الوجود كله فساد في فساد .. وكارثة  
مركبة؟ .. وما الاديان والشرائع سوى وسائل  
تخدير لهذا الانسان العائر المغير ، اخترعها القوي  
لاستغلال الفسيف؟ ! ثم بني الحضارات تعبيرا عن  
هذا العيرة القاسية والقلق المدمر .. وما لبث ان  
دمرها بيديه ، وبنى على انقاذهما حضارات أخرى  
.. وهاكم .. تراه دائما هاربا من نفسه الى  
نفسه .. خائفا منها اليها .. يعبد الاوثان ..  
ثم يحطمها .. يوجد الاديان .. ثم يكفر بها ..

أتراء جادا أم هازلا ، وفي أي الحالتين جده  
وهزله؟ ..

وأين تكمن قيمته .. وفته .. وابداعه؟ ..  
وأين يكمن سخنه وهزله وتتجديفه؟ .. هل هو  
مخترع اللعبة .. أم انه لعنة اللعبة؟!

أمام كل هاذا وقف أبو العلاء الشاعر المتأمل ..  
فابصر ما لم يستطع المبصرون أن يروه .. أو لعلهم  
رأوه .. لكنهم أغمضوا عيونهم عنه زلفي .. أو  
دجلا .. أو رباء .. أما هو فقد أبصر .. ولم  
يغض طرفه ، لأنه لم ير مثلهم بعيدين .. بل رأى  
بأصغرين .. وكان صادقا مع نفسه حين كذبوا هم  
مع أنفسهم .. وربهم .. وحقيقةتهم ..

على يد أبي<sup>١</sup> العلاء خرج الشعر من دائرة  
القديمة الضيقة : دائرة العبث والفردية والقبلية  
والقدح والمدح والارتزاق الرخيص .. ليدخل  
دائرة أوسع، مداها الكون والانسان حيث يتم  
تسجيل المواقف من القيم .. والحقائق وكشف  
الزيف فيها بقصد التغيير .. وهاده هي الدائرة  
العالمية للشعر ..

لم يعد الشعر على يد أبي العلاء وسيلة للعيش  
الرخيص أو الكذب الملف و الشتم الصبياني  
الأخرق .. بل أصبح وسيلة للفكر المتأمل وبوتنقة

يسكب فيها الوجدان الصادق .. وتعبيرًا مشعاً عن حقائق الوجود والوجود ونقداً ساخراً لكل ما يشهدهما .. لحظة انشق ألقا نورانيا من الكائن الانساني المشع فكراً ووجданاً وحساً .. لقد قرب من أن يكون فلسفه .. أو شيئاً من فلسفه ..

إذ ما هي الفلسفه ان لم تكن وقفة تأمل ومحاولة فهم لهذا الكائن الذي يظن نفسه جرمًا صغيراً ، وفيه انطوى العالم الأكبر على حد تعبير أبي العلاء نفسه : أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر ..

ولذلك الكون الرهيب بكل دقائق صنعه وروائع نظامه .. صحيح ان الموقف العلاني - حيال كل هذا - لم يكن واحداً .. ولا كان نهائياً .. أو مترابطاً شيئاً من الفلسفه الذين يلزمون أنفسهم وفکرهم بخط واحده .. وخطه متماسكة .. ومبدأ موحد أمام العيادة والأحياء والمصير .. بل كان أبو العلاء فيلسوف اللحظة .. أو اللحظات التي سرعان ما تذهب بقدر ما تتواتر .. وتتوتر بقدر ما يلتهب الوجدان بالتجربة .. ويتأثر الكيان بالمعايشة .. وجبرية المصاحبة لانسان المسر

الذى فقد آخر صفة من صفات الانسانية ، فاصبح  
وحشا ضاريا ٠٠ أو حملا وديعا يسir به الذئب  
أينما أراد ٠٠ حتى لقد أصبح الذئب في نظر  
أبي العلاء كائنا اراديا افضل بكثير من ذلك الانسان  
المسير العقير ٠٠ وأصبح عواوه أحلى وقعا في اذني  
الشاعر من صوت ذلك الانسان :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى  
وصوت انسان فكدت اطير ٠٠٠

هل من حداثة في شعر أبي العلاء ؟ :

كثر الكلام في هذه الايام عند الباحثين والنقاد  
الطلبيين عن الحداثة في الفكر والادب والفلسفة  
ولا سيما الشعر العربي المعاصر . واذا كان  
كلامهم عن الشعر القديم، قيموه على أساس مدى  
حداثته أو مقدار المعاصرة فيه أو ما يسمى قوة  
الحضور ومببلغ الديمومة والاستمرار في شكله  
ومضمونه . وعلى هذا كان بدبيها أن يسقط  
الشكل بكل مقدساته القديمة تقريبا ، والمضمون  
نفسه تهاوى تحت مطرقتهم التي لا ترحم . وحق  
لها الا ترحم لكثرة ما في شعرنا القديم من محنطات

وموضوعات تافهة طالما أزرت بالفکر العربي والكرامة الإنسانية ، ومن أشكال قدست وعمل بها زمنا طويلا بالرغم من تطور الحياة العربية والبيئة العربية تطورا أصبح من غير الجائز معه ولا المقبول أن يستمر الشعر العربي بكل مفاهيمه وأشكاله البالية . ومن حسن الحظ أن الشعر العربي قد خطأ منذ مطلع هذا القرن خطوات إلى الإمام انسجاما مع معطيات الثقافة العالمية الجديدة . ولكنها كانت خطوات خجولة سرعان ما تجرأت في مطلع الخمسينات وراحت تشق دربها شقا جسورا . وما هي الآن تقف بكل كفاءة على أرض الواقع والمنطق مختلفة وراءها غبارا كثيفا طمست فيه معالم الشعر القديم ولم يكدر يظهر منه شيء ذو خطر ..

وفي السبعينات حاولت مجلة « شعر » أن تمسك بزمام التيار التجديدي وتنظمه داعية إلى قيام دولة الشعر الحديث على أنقاض أمبراطورية الشعر القديم ولكنها اتعثرت وتهاوت لا لأن التيار المضاد كان أقوى بل لأن القائمين عليها تمادو في مفهوم التجديد لكي لا نقول أخطاؤ حين أرادوا أن يقف الشعر العربي على قدم المساواة مع الشعر الأوروبي اذا جاز التعبير ولا سيما الشعر الفرنسي .

أي أن « يفر بوه » فكانو ملكيين أكثر من الملك ووقع  
الشعر العربي الحديث أو مفهوم الشعر على يديهم،  
في التقليد والمحاكاة والبعد عن الاصالة .

والنقل والمحاكاة – كما هو معلوم – شيء  
والتأثر بالتغيرات العالمية شيء آخر .

أما مجلة « مواقف » فقد أمسكت بالزمام عن  
جدارة أكثر – كما يخيل لي – حين راحت « تعقلن »  
الأشياء وتنظر القيم الشعرية والتعبيرية تنظيرا  
منطقيا يشارف الفلسفة في عمقه وأصالته . وهي  
حين تتكلم عن « العداثة » في الشعر – وقد أفردت  
لها عددا بكمله (1) – تتكلّم عن ثقة واختصاص  
وتنطلق من منطلق عربي سليم وآخلاق وفهم  
للعداثة عرف بهما صاحب المجلة أدونيس وعقدت  
له الريادة فيما منذ زمن .

وبعد . ما هي العداثة باختصار ( وفي الشعر  
خاصّة ) ؟  
– أن يكون الشاعر ساخرا من كل زيف وكل  
انحراف في التراث .

---

(1) العدد رقم ٢٥ الصادر في اواخر حزيران ١٩٧٩ .

– أن ينشغل بفنه بدلاً من انشغاله بالآخرين ..

– أو هي حسب تعبير ياسر داغستانى (١) :  
« الانفصام عن الماضي وازدراء التراث » وهاده  
تهمة من الغير ، وليست مبدأ من مبادئهم . غير  
انها – على أي حال – تهمة مقبولة لديهم اذا  
كانت تعنى : الخلق والابداع ، شرط ألا يكون  
ذلك الانفصام كليا .

– والحدثة كلف بالسبر وريادة آفاق لم يردها  
السابقون .

– وهي التمرد على الثوابت المطلقة . أو ما  
سميناه مقدسات في الفكر والفن والمجتمع والدين  
والسياسة ، محرم تجريعها أو النيل منها أو  
ابطالها ..

– وهي تلك الروح الرومانسية العاشقة لكل جديد  
الbasقة على كل قديم المتبددة في هيكل الطهارة  
والجمال ، والعقل ، تبدها صوفيا صافيا لا دنس  
فيه ولا اثرة ، ولا عودة ..

---

(١) انظر مجلة « مواقف » عدد ٢٥ من ٩٧

– وهي بالتالي ذاتك . الاحساس العميق بالقهر  
الكوني ، و مأساوية الوجود .

– وهي التعبير عن ذلك الاحساس العميق بلا  
جدوى الحياة وتوليد الحياة . . . فكل شيء فيها  
لا جديد فيه . . . ومن يولد الحياة ( أي من يتزوج  
مثلا ) فكانما يكرر الحياة . . . والتكرار شيء  
بليد . . . فكيف بتكرار التكرار !!

وهذا صلاح عبد الصبور – أحد رواد الحداثة  
في مصر – يعبر عن هذا الاحساس بقوله :  
يتعمور بعض المكرورين الى أصوات . . .

أو أنقام أو أشعار . . .  
ل لكن هدير الزمن الدوار . . .  
يبتلع الزامر والمزمار . . .  
يتعمور بعض المكرورين الى طبل منفوخ . . . .  
لكن ما تبته الصحف اليومية والعلويات . . .  
ينساه التاريخ . . .

وهاكذا يسقط بنا صلاح في هوة العدم القاتم  
( خاصة في مجموعته الاخيرة : الانبياء المهزومين )  
بلا امل . . . ولا سبيل الى أن نترك رسمما على جدار

أو خطأ فوق ديباجة أو نفما في أوتار كمان ٠٠ أو ذكرى في خفقات قلب ٠٠ أو خفقة طين على وجه الفضاء على حد تعبير صلاح نفسه ٠

ويعود الشاعر من رحلته مع الناس والأشياء – تماما كما عاد المعرى من رحلة الشباب الى بغداد – عاد ليغمض عينيه عن كل ما رأى وسمع وتالنّم وفجع – عاد ليبحر هذه المرة في ذاته وقبل أن يمل الابحار غناناً ألمه وفجيعته بكل ما ومن حوله بعد أن أمدته الرؤيا الإنسانية ببعض قبس نوراني مؤمن بالانسان ٠٠ الانسان الاسير المستغل المهاجر ٠٠

عاد الشاعران لينسجوا لنفسيهما عالماً شعرياً  
خاصاً وزاوية خاصة يطلان بها على ٠٠٠ تلك  
القصور الاسطورية التي حلم بها عبد الصبور  
ورثى لها أبو العلاء ٠٠ كيف هانت على الشعراء  
الأذلاء ٠٠

لا أدرى لم ساقني الكلام عن العداثة الى هذه  
المقارنة بين شاعر المرة وشاعر الطليعة في مصر ٠٠٠  
لعله هاجس العداثة وتأكيد وجودها عندهما ٠٠  
لكن لم يقفز الى ذهني عبد الوهاب البياتي مثلاً

أو بدر شاكر السياب أو نازك ٠٠ أنها آفة التهافت  
في المشاعر أو تداعي الأفكار أو شيء من هذا القبيل  
٠٠٠ وليففر لي القراء ذلك ٠٠٠ بقى أن يعبر  
المعرى عن مثل ذلك الشعور المأساوي وماذا  
الهاجس الذي يبلغ بصاحبه حد المديان ٠٠ أو  
المرض ٠٠

وأبو العلاء بلغ به الهاجس حد المرض ٠٠  
والشعور بثقل الحياة وكابتها ومجانة العيش فيها  
والغموض الأبله الذي يلف البداية والنهاية ٠٠

لن أدلل هنا بمقتضفات من لزومياته أو شذراته  
لكنني سأفعل ذلك عند نشر صحائف شعره بين  
يدي متذوقاً ومحللاً ٠٠٠ مكتفياً - هنا - بالقول ان  
العداية عند المعرى تكمن في :

١ - الموقف المبدائي الرافض لكل الاعراف والعلائق  
البشرية ، وهو موقف يسلخه عن عصره  
ليقذف به إلى العصور الحديثة : عصور  
التأمل والضياء والرفض ٠٠

٢ - امتياز شعره بالصدق والغلوية وتواتر  
الصورة وضبابية الألوان الصادرة عن انسان

أعمى لكنه مبصر .. و هنا تكمن مأساوية  
وجوده التي عبر عنها شعره الشاعر مجسدا  
احسام الشاعر العميق بالفربة والفيض  
والعزلة القسرية التي جاحد كثيرا ليجد من  
قسريتها وقوتها باستقباله للمعجفين والدعاة  
والطلاب ، وان كان ذلك منه على حذر  
وترى ث شديدين ..

٣ - ابتعاده عن كل ما يزري بكرامة الشاعر  
ودخوله مملكة المقل والاحتماء به ، وريادته  
لآفاق و موضوعات شعرية لم يتطلع اليها خيال  
شاعر من شعراء عصره . كما في رسالة  
الفران رغم الايثقال اللغوية التي رزح تحتها  
ذلك الخيال العلاني المجنح . . .

ويقدر ما قرب أبو العلاء مما نسميه اليوم  
معاصرة أو حداثة أو تخط .. أو قوة حضور ..  
في شذراته وقصائده التأملية العرة .. بقدر ما  
سقط في اللزوميات سقوطا مريعا .. حيث بدا  
أسير العصر وتعقيدات العصر اللغوية التي تبلغ  
أحيانا كثيرا حد الأحاجي والطلاسم في عبث كلامي  
لا طائل تحته .

انها آفة العصر كما قلنا .. لم يسلم منها أبو العلاء .. بل على العكس كان عليه الا يسلم منها لتعيمه من ادعية الله والادب وليرعب بهم بسلامهم ولقتل بها اوقات فراغه .. وما اكثراها ..

٤ - أبو العلاء من الذين جار عليهم القدر وسحقهم المصير المعتم .. فهل تعتبره .. في هذه الحال .. بطلًا مأساويًا ؟

كلا .. فليس كل من جار عليهم القدر يعتبرون أبطالًا مأساويين .. والا لكننا جميعاً أولئك الابطال لأننا .. كلنا .. ضحية القدر .. البطل المأساوي هو الذي يخرج من "يَنْتَ شَاهِرَا سِيفَهُ أَوْ قَلْمَهُ أَوْ شَاهِدًا رُوْحَهُ وَقَلْبَهُ وَعَقْلَهُ مُسْتَعْدًا لِلْوَثُوبِ عَلَى .. الْقَدْرِ .. مُتَعْدِيَ الْمَصِيرِ هَازِئًا بِذَالِكَ الْقَهْرِ الْكُوْنِيِّ وَالْجَبَرِ الْعِيَاتِيِّ الَّذِي يَرَادُ لَهُ .. البطل بتعبير آخر هو صاحب ردة الفعل أمام المحتنة .. صاحب التحدي الكبير .. بالكرياء .. بالرفض .. باحتضان العقل .. فكيف اذا كان هذا البطل شاعراً .. ملاحه العقل والخيال والعرف الناري المتوفر ؟ !

كان أبو العلاء بحق هو هاذا البطل المأساوي الذي أفرزه القرن الرابع الهجري وكان شاهدا على انهيار كل شيء فيه ٠٠ ممثلا قمة التحدي أمام ذلك الانهيار وذاك الضياع ٠٠ بالكلمة الشاعرة الساخرة ٠٠ من انسان أقام لنفسه عالما خاصا ومفهوما خاصا للحياة والأحياء ٠٠ الا يستوي في هاذا وكبار الابطال المأسويين في تاريخ الأمم والأديان : كابليس الرمز المأساوي للتحدي البشري أمام لعنة القدر وسوء المصير ، أو النبي ابراهيم رمز الطاعة أمام الابتلاء ٠٠ وانتيفونى رمز الانسحاق العتني تحت قدمي المصير المفجع ؟ ! (١) وأوديب في نهايته المفجعة الكثيبة الذي قابل التحدي بالتحدي مع علمه بأن هاذا التحدي هو جزء من مصيره وان كبرياته ستنتهي به – وقد انتهت – الى الدمار واليأس والموت الزؤام ٠٠

في رأيي ان أبو العلاء لا يستوي معهم فحسب بل يفوقهم مأساوية وتحديا واسعاما وتأثيرا ٠٠ كان أبو العلاء أكبر معاور للموت يتحدى به الحياة

---

(١) المطر كتاب نقد الفكر الديني ده صادق جلال العظم من ١٠٦ - ١٠٧ دار الطليعة - بيروت ١٩٧٠ ده، ثانية ٠

وعدمية الوجود . ألا يكفيه بهذا حداثة في الروح  
وال موقف والسلاح ؟ !

### أبو العلاء والفلسفة :

هل صحيح قولهم انه فيلسوف الشعراء وشاعر  
الفلسفة ؟ أم ان هذا النوع من الازدواج اللغظي  
أو الطباقي هو الذي استهوى مطلق هذا القول دون  
أن يراعي الحقيقة ؟

الواقع ان في هذا القول كثيرا من خلل الحقيقة،  
لا سيما اذا قلنا مع بلايك بأن « الشعر أداة لنقل  
الفلسفة » . خاصة تلك الفلسفة الصوفية القائمة  
على التوحيد بين الروح والجسد وبين الواقع  
والخيال .

وما كان شعر أبي العلاء شيئاً سوى ذلك : كان  
كما نعلم أداته الوحيدة للتعبير عن « تأملاته » في  
الكون والكائن والدين والمصير . أي تعبيراً عن  
فلسفته الخاصة ونظرته الى قضايا الانسان والمجتمع  
والعادات وال المقدسات . الا أنها فلسفة مضطربة اذا  
جاز التعبير . أي أنها لا تشكل عند أبي العلاء  
نظاماً موحداً لآرائه وموافقه .

أبو العلاء - بهذا الاعتبار - فيلسوف اللحظة  
أمام حقيقة من حقائق الوجود أو المجتمع : يراها  
بكل صفاتها وعمقها بعد أن يعرinya من شوائبها  
وستائرها الكثيفة . فقد كان قادرا على الفوضى  
والكشف .. لكنه لم يكن قادرا على الاحتفاظ  
بمكتشفاته وتنظيمها .

وحين أعلن هوغو وأتباعه من الرومانسيين أن  
الشاعرنبي كان أبو العلاء أسبقهم بـ ألف عام إلى  
إعلان ذلك : أعلن أبو العلاء نبوة العقل . وأعلن  
هاولاء نبوة الشاعر . وهم أن اختلفوا مع فيلسوفنا  
في تقدير العقل إلا أنهم لم يختلفوا معه في نبوة  
الشاعر ..

و واضح أنهم لا يعنون بالنبوة هنا ان الشاعر  
صاحب رسالة لهداية البشر .. بل باعتباره انسانا  
متميزا ، عليه أن يعاني ما عاناه الأنبياء من صراع  
ذاتي وانسحاب روحي للحصول على نعمة الكشف  
والإلهام .. معاناة قد تصل بالنبي إلى أن يرى الموت  
سبيله الأفضل إلى المعرفة ..

والرومانسية كالفلسفة : سعي دؤوب وراء

الحقيقة ووراء المجهول . وتخطي ظواهر الاشياء  
طلبا للوحدة العميقه .

فإذا كان أبو العلام رومانسي التزعة بشكل  
أو باخر فهو فيلسوف بشكل أو باخر ٠٠ لاكته يؤمن  
بالمقل اماما وهاديا ونبيا وهم لا يؤمنون فهو  
ـ اذن ـ ليس فيلسوفا رومانسيا وحين يكفر  
بالمقل كما كفرو وأمنوا بالوحى والالهام دون  
وساطة العقل كان مثلهم فيلسوفا ٠٠٠

وعلى هذا نستهيع أن سميـه فيلسوفا في رسالة  
الفران حيث تسلح بما تسلح به الرومانسيون  
المحدثون : الغيال والنقد والهدم والتمرد على  
القيم والمقـدـسـات ٠٠ فيلسوف السخرية على  
الأقل ٠٠

اما في اللزوميات فهو ليس بفيلسوف على  
الاطلاق حتى ولا بشاعر ٠٠ الا اذا عدنا العـبـثـ  
اللفظي والنظم الكلاسيكي المقدـشـراـ او فـلـسـفـهـ ٠

هـذاـ منـ حيثـ التـقـيـدـ الأـعـمـىـ بالـقـافـيـةـ وـالـرـوـيـ ٠  
اماـ حينـ يـطـفـيـ المـقـلـ فيـ اللـزـومـيـاتـ عـلـىـ آـلـيـةـ التـعـبـيرـ  
وـيـسـيـطـرـ الـفـكـرـ التـأـمـلـيـ وـالـعـاطـفـةـ فـاـنـ أـبـاـ الـمـلـاـمـ

يرتفع عن مستوى التعبيرية المعقّدة ويتحرر من ثقل اللغة الى ذروات الابداع حيث يروح يتعاطى مع الحقائق مباشرة . . . مع الناس . . . مع الله . . . والوجود والمصير مؤمنا حينا . . . شاكا وساخرا أحيانا . . . دون عائق لغوي الا عائق الروي وما قبل الروي . . . عاهة او صفة لم يستطع أبو العلاء التحرر منها . . . وكأنها - في رأيه - سلاح من أسلحة التهدي والاستعلاء . . . كما سبق القول .

والشاعر يختلف عن الفيلسوف في أنه يدرس الأشياء كما هي وكما يجب أن تكون . . . أما الفيلسوف فلا يهمه كيف كانت وما ستصبح بل يتناولها هي ثم يتناول جزئياتها ويبعث في ماهيتها ونوعيتها وعناصرها .

وليس أبو العلاء أمام الأشياء مفسرا ولا معللا بل هو كفيره من الشعراء متذوق ومتأثر ، ومسجل موقف قد لا يلتزم به . فهو ليس بفيلسوف بالمعنى الكلاسيكي الدقيق للكلمة

وخلاصة القول : ان أبو العلاء باعتباره شاعرا شخصانيا وعقلانيا أي انسانا « عائدا الى ذاته » متحررا من الماضي وكل ما ومن يمثل هذا الماضي ،

يبرز فيلسوفاً كاملاً بهذا الاعتبار خاصةً حين ينتهي إلى رفض وجوده المتساوي لكنه يجد أنه «ملقى في المحيط مجرداً من كل مرسى» على حد تعبير أدونيس ملقى بلا اختيار «منداح في وسط الدائرة الوجودية الجهنمية» بلا أمل في العودة أو الخلاص «أبو العلاء يجد نفسه دائمًا في حالة التميز والتفرد واللامتناء» انه إنسان لا منتم بكل ما في هذه الكلمة من معنى فلسفى حديث وبهذا الواقع القسري الذي هو فيه أو الذي «لم يكن له شأن في اختياره» كما يقول هيدنير ، يجد أبو العلاء نفسه وجهاً لوجه أمام عالم عدائي يهدد ذاته باستمرار ، وعليه باستمرار أن يجابه «يرد عليه» لا لكي يربعه بل لكي لا يخسر ذاته وعقله

وحسبي أنه حين يكون في دائرة الفكر والعقل والتأمل والحكمة والابداع يخرج نهائياً من دائرة الشعراء التقليديين الصغار ، ويقرب جداً من الفلسفة «الفلسفة التي كانت ولا تزال تطرح هذا السؤال : من أين وإلى أين؟ ماذا وراء العجب؟ وهذا الإنسان من هو وما مصيره» وهذا الوجود ما عناصره وما قيمته «والجواب : لا جواب»

ويستمر اللهاث وراء السراب : الفيلسوف مغور  
بالعقل والشاعر مبهور بالحس وبين غرور  
الفيلسوف وانبهار الشاعر وقف أبو العلاء معلنا  
نهاية القبول في الشعر العربي ، وبداية الرفض أو  
التساؤل (١) .

ala يعتبر أبو العلاء بهذا .. وبهذا خاصة  
فيلسوفا .. لا سيما حين يعني ذالك ويهندي به ..  
لأكنه - انصافا للحقيقة - فيلسوف بلا طريقة أو  
منهج ..

اذن هو فيلسوف الشعراه الى حد كبير ، وشاعر  
الفلسفة اذا صع التعبير .. وليسع لنا أدونيس  
أن نسميه فيلسوفا بلا طريقة بعد أن أعطاه كل  
خصائص ومنطلقات الفيلسوف ما عدا الطريقة  
والمنهج (٢) .

### المؤلف

---

(١) على حد تعبير أدونيس . النظر كتاب ديوان الشعر العربي -  
الكتاب الثاني - لأنديمين من ٩٤ - ٩٩ - المكتبة العصرية

صيفا - بيروت ١٩٦٤ .

(٢) سیوان الشعر العربي - الكتاب الثاني - من ٩٤ .

طرفاها ربيعان ٠٠ بينهما خريف بارد ٠٠

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان التنوخي ٠ ولد في معرة النعمان (١) يوم الجمعة عند مغيب الشمس أو اخر شهر ربيع الاول سنة ٣٦٣ هجرية ، ١٦ كانون الاول ٩٧٣ ميلادية ٠ أصيب بالجدرى بعد أربعة أعوام من مولده فذهب بصره : غشي يعني عينيه بياض وكانت نادرة (٢) ، وانطفأت اليسرى تماما وكانت غائرة ٠٠ لم يعرف من الالوان سوى الاحمر وهو لون الثوب الذي

---

(١) وهي بلدة صغيرة في سوريا قرب هماه وشizar ٠ منصوبة الى النعمان ابن بشير الانصاري والي حصن الذي تibrها زمن معاوية

الملوك فنسب اليه ٠

(٢) بارزة ٠

البسه يوم أصابه الداء (١) وقد ظل وجهه مجدورا طوال عمر امتد - على كره منه - نيفا وخمسة وثمانين عاما : ( من ٢٧ ربیع أول ٣٦٣ الى ١٣ ربیع أول ٤٤٩ ) . أما جسمه فكان نعيلا منذ النشأة ، وزاد نحوا أيام لزم محابسه الثلاثة وحرم على نفسه أكل اللحوم من أي نوع ، وبيض الحيوان ولبنه ، شيمة قدامي فقراء الهند ودراویش الصوفية . ودامت نباتيته سبعا وأربعين سنة ، أذ حلاوة لديه التين وأشهر طعام العدس .

### أهل وعشيرته :

جمعت أسرته الى كرم المحتد سمو المنزلة . فقد اشتهر منها نجاء تقلدو مناصب قضائية عالية في المرة وحلب . من هؤلاء جده سليمان قاضي المرة ، ثم ثغر بكر عم أبيي العلام ، ثم أخوه أبو محمد عبد الله والد أبيي العلام ، ثم أبو المجد محمد أخو أبيي العلام الأكبر . وكان شاعرا متزهدا . وآخر هو عبد الواحد وكان شاعرا غزوا .

---

(١) مع ان هانا اللوب كان بدون المصفر وهو اقرب الى اللون المصفر منه الى الامر .

وكان من أبناء أخوته وأحفادهم علماء وفقهاء وأدباء وخطباء أبرزهم محمد بن عبيد الله الذي أدرك عم أبيه أبا العلاء وروى عنه أشعاره وكتبه . وكان قاضيا في المرة الى أن دخلها الصليبيون سنة ٤٩٢هـ (١٠٩٨م) (١) وقبل كل هؤلاء أبوه عبد الله الأديب اللغوي الفقيه الشاعر الذي أحاط ابنه بمعناية خاصة نظرا لمعاه المبكر ولما توسّم فيه من الغير والنجابة فعلمه مباديء اللغة العربية وأدابها وأشعارها . فلا عجب أن يكون أبو العلاء ما كان ، فهو من بيت علم وجاه ودين وأدب ولغة . وقانون الوراثة يحتم ذلك . فالعجب إذن لا يكون أبو العلاء كذلك لا سيما وهو بين عمومة وخُولة متأثر نجيب . فكيف « تمشي القوافي تحت غير لواء » هذه العائلة الكريمة الشاعرة ؟ أيمكن أن « تسلبها العز » قبيلة مهما عظم شأنها وبأسها ؟ وهل يسير أحد في بادية السماوة الا وقمه له حافظون ؟ (٢) وحق لفتى كأبي العلاء أن يفتخر بأهله وعشيرته من آباء وأجداد وأخوال . حتى جدته لأبيه كانت من رواة الحديث والشعر .

(١) انظر دائرة المعارف م ٤ ص ٤٥٦ .

(٢) انظر أبو العلاء المعربي - اعلام العرب ٢٨ د . بنت الشاطئ ص ٧ .

اما امه، فما دار حديث في الشعر العربي على لسان  
 شاعر بأحلى ولا أحنى ممادار على لسان أبي العلاء . ولا  
 كان أشهى ولا أشجع من رثائه لها . انه حين يذكرها  
 فكذكر صوفي حل فيه ربه او كمتعبد متهدج يسبح  
 بالاء خالقه صبح مساء ولا يمل . يذكر كيف كانت  
 تأخذ بيمناه . . . وكيف كانت ترعاه في بلواه وكيف  
 كانت في طفولته تحتضنه وتسمى عليه حين ترضعه ،  
 وتقرأ آيات الكرسى وتعوذ من الشيطان (١) .

اما فجيمته فيها فقد كانت تاريخية قضت على  
 آخر أمل له في الحياة وكانت نقطة التحول الكبرى  
 في مسيرته وسيرته . فهي التي قرر بعدها الاعتكاف  
 ولزوم المعيسين : الثلاثة . . . مطلأ من خلال  
 الفجيعة على الناس . . . يراوده طيفها كلما عاوده  
 العنين الى الصفاء والنقاء والبراءة . . . حنين بدأ  
 في غربة أبي العلاء في بغداد أملأ واعدا . . . موسولا  
 بين حياتهين . . . وما أحلاه ! وحنين من جانب واحد  
 بعد فراقها الابدي . . . وما أمره ! . . .

حنين تطفئه « قطرة من ماء المرة . . . » لكن

---

(١) انصر نفسيه من ٤١ .

العنين الى الطيف بعد الموت لا تطفئه ينابيع الدهور  
 .. ويبقى الطيف مائلاً نصف قرن .. وفؤاد  
 الابن لاهثا كل العمر .. بلا عزاء ولا سلوى ..  
 يا سلوة الايام موعدك العشر ..  
 موعد والله بعيد .. (١)

كنيته :

لم يتزوج أبو العلاء فلم يأت العلاء الابن ..  
 فمن أين جاءته هذه الكنية ومن كاناه ؟

التاريخ لا يذكر شيئاً من أمر هذه الكنية مع ان  
 التاريخ قد ياماً وحدينا لم يهتم بأديب أو متنفس  
 كما اهتم يابي العلاء .. غير ان أحداً من المستشرقين  
 أو المؤرخين العرب القدامى لم يهتم بكشف الغطاء  
 عن كنيته وأسبابها .. وأغلبظن ان انه هو الذي  
 كنى نفسه بها ليرمز بها الى استعلام نفسه بنفسه  
 دون ان يكون الولد هو الذي يعلمه أو يسمو بها ..  
 واذا تباهى الوالدون بما ولدو ، فان المعرى يتبااهي  
 بالعلاء .. الرمز ، لا بالعلاء .. الولد ..

---

(١) اما اسم هذه الام فقد نلخصها طويلاً في ايات المراجع فلم نعثر  
 عليه سوى انها « بنت محمد بن سبیکة » المصدر السابق من ٩٢

وإذا كان غيره من أهل أو معجبين قد لقبوه به فقد أشاروا إلى حقيقة هذا الإنسان الذي أراد أن يكون له كباقي الناس لقب أو كنية تشير إلى شرف ذاته وسمو نفسه فقبل بالعلاء أبنا وهو الذي لم يرض بالدون يوماً .. وأنا أصر على أنه هو الذي لقب نفسه بأبى العلاء أو أوصى به ، وإن كان هو قد علق على ذلك بقوله :

دعيت أبا العلاء وذاك مين  
ولكن الصريح أبو النزول

فهذا من باب التواضع وميل منه إلى احتقار كل ما يشير إلى الكبراء أو التسللي المصطنع والتباumi الاجوف بالكتنى والألقاب ..  
أستاذوه :

يكاد يكون أبو العلاء أستاذ نفسه قبل أي أستاذ آخر فلم ير مستمعاً إلى من يأخذ عنهم فحسب بل مناقشاً ومحاوراً ، سوى أبيه وأمه وجده وجدته (١) وأخيه فقد أخذ عن هؤلاء أخذ الراهب العاشع المستوحي ، ينهل من معينهم رحيقاً دينياً صافياً

---

(١) وهي أم سلمة بنت الحصن بن أصحاق ابن بليل المعربي .

و تربية عالية تتناسب و شرف منزلته و كريم محتده  
و تلاءم مع ما كان عليه من سمو نفس و علو همة  
و طموح لا حدود له ٠٠

اما مشايخه و مقرؤوه القرآن فكانوا جماعة من  
شهره بالقراءات السبع ٠ و رواية الحديث أخذها  
على أبي زكريا بن مسعود المعربي وأبي الفرج عبد  
الحمد الضرير الحمصي ، والقاضي أبو عمر  
عثمان الطرسوني وسواهم من رواة الحديث الثقة  
في المرة و حلب ٠

و علوم اللغة والنحو عن أبيه أولا ثم عن أبي  
بكر بن مسعود النحوي وبعض كبار تلامذة ابن  
خالويه في حلب (١) ٠

و حين رأى منه أبوه ذكاء حادا و ذاكرة عجيبة  
واستعدادا تماما للتلقي تشبع ومضى به الى حلب  
- وفيها أحواله القضاة الاغنياء - وهناك تلقى  
النحو على محمد بن عبد الله بن سعد النحوي ٠

---

(١) نذكر بان ابن خالويه كان مربيا لسيف الدولة فهو من علماء اللغة  
والادب الكبار ٠ ولم يكن احد سواه يستطيع الوقوف في وجه  
المتنبي من حيث التبحر في اللغة والادب والنجوم ٠

وهذا الاخير كان أحد رواة أبي الطيب . فروى مرة  
على مسمع أبي العلاء في حلب وكان لا يزال حدثا  
قصيدة للمنتبي مطلعها :

أزائر يا خيال أم عائد  
أم عند مولاك اتنى راقد

فلما وصل الى قوله :

أو موضعا في فناء ناحية  
تحمل في الناج هامة العاقد

اعتراضه أبو العلاء الفتى وقال :

أو موضعا في فتان ناجية ( لا فناء ناحية ) ( ١ )  
وحين تحقق ابن سعد وجد أن الصواب ما قاله  
أبو العلاء ..

وهذا دليل على قوة ذاكرة أبي العلاء الذي يكرر  
في الحفظ والخزن . ولا عجب فهاده ظاهرة  
عالجها علماء النفس الحديث فوجدو أن العوام

---

( ١ ) الفنان غضاء من ادم يوضع فوق الرحل والنافعية النافية المcriمة .  
النقر : ابو العلاء المعربي ده بنت الشاطئ - اعلام العرب رقم .  
٢٨ من ٦٧ - مصر ١٩٩٥ .

اذا تعطلت احداها اغنى ذلك العوام السليمة  
الباقيه ٠٠ لا سيما العينان : هاتان الباصرتان  
المنفتحتان على العالم الخارجي بكل اشكاله وألوانه  
وحركته وصخبه وهمسه وايحاءاته ٠٠ اذا تعطلتا  
وفرتا التأثير بكل هذا وانقلب الأعمى مبصرا بشكل  
آخر : مبصرا بأذنيه ويديه ومتخرجه ٠٠ بل بكيانه  
كله ٠٠ فيرى ما لا يراه المبصرون ٠٠ وعلى نحو  
أعمق ٠٠

اما الذاكرة او العافظة وهي قوة هائلة من  
قوى النفس فنصيبها اوفر من انتفاء العينين ٠٠  
لأن ما ي滅ل غناها بالمعلومات انشغال العينين  
المبصريتين بالخارج ٠٠ بروية الاشياء والتعامل  
معها ٠٠

وهاكذا ما رأينا ولا سمعنا بضرر موهوب الا  
وكانت ذاكرته من أقوى وأغنى الذواكر حفظا  
واستيعابا ٠٠ حتى اتنا لا نكاد نصدق – نحن  
المبصرين – ما يروى عن أتعجج ذاكرة أبي العلاء.  
لا سيما اذا كنا نجهل علم وظائف الاعضاء وارتباط  
عصب كل حاسة بمكان ما من الدماغ وتأثير هذا  
الارتباط على الدماغ نفسه وبالتالي التفكير ٠٠

حيث يبدو الدماغ - كشرطى المرور - منهمكا دائمًا بتوزيع حركة السير . والعينان طريقان هامان يكثرا عليهما السير والازدحام . . . فإذا سدتا هان على الشرطي تنظيم السير على الطرق الفرعية الأخرى على ما فيها من زحمة وحركة . . . .

وسواء كان تصريح البيت الآنف الذكر دليلا على قوة ذاكرة أبي العلاء أو دليل فطنة ودقة ملاحظة فان أخبار ذاكرته العجيبة تملأ كتب السير وجمبة الرواية . ونعن لا ننكر عنصر المبالغة من أجل التشويق في ما يذكره الرواية عن ذاكرة أبي العلاء الا أن الثقة منهم يرتونه على وجه التأكيد والجزم :

### أعاجيب الذاكرة :

رجل أبو العلاء في صباح الى انتفافية وتردد الى مكتبتها يحفظ ما فيها . قال ابن منقد وأكد ابن المديم في « الانصاف » :

كان بانتفافية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلا علويًا ، فجلست يوما اليه فقال : قد خبأت لك غريبة ظريفة لم يسمع بمثلها . . . صبي دون

البلوغ ضرير يتعدد الي ، وقد حفظته في أيام  
قلائل عدة كتب ، وذاك لأنني أقرأ عليه الكراية  
والكرياسين مرة واحدة فلا يستعيد إلا ما يشك فيه ،  
ثم يتلو علي ما قد سمعه كأنه من محفوظه . قلت :  
فلعله يكون يحفظ ذالك . قال : سبحان الله ! كل  
كتاب في الدنيا يكون محفوظا له ؟ وان كان ذالك  
كذاك فهو أعظم ..

ومهما يكن من أمر هذه الرواية وصحتها وان  
انطاكية يومها كانت بيد الروم (١) فهذا لا ينفي  
ما تواترت الاخبار به عن غرائب تلك الذاكرة :

قال بعض مؤرخيه ما خلاصته : ان أبي العلاء  
استمع في الشام الى شاعر دمشقي ( لعله الأوادع  
الدمشقي توفي حوالي ٤٩٠هـ ) فأعجبه فصاح به  
قائلا : انت أشعر من في الشام .. وتمر الايام  
والاعوام فيستمع أبو العلاء وهو في بغداد الى شاعر  
يلقي قصائده فعرفه من أسلوبه ونفسه فصاح به  
قائلا : ومن في العراق ... فإذا به الشاعر ذاته  
الذي استمع اليه في دمشق !!

---

(١) من سنة ٢٥٨ اي قبل مولد أبي العلاء الى ٤٧٧ وبعد وفاته  
بـ ٤٨ سنة .

وقيل انه من قبل اعتزاله ببادية السماوة او  
بادية الشام (١) وحين وصلت به راحلته الى شجرة  
ضخمة في الطريق قال له مرافقه : ها هنا شجرة  
فاخفظ يا سيدي هامتك قليلاً . ففعل ..

وتمر الايام والاعوام وتقتلع الاعاصير الشجرة  
الضخمة .. وتموت الراحلة .. لكن أبا العلاء  
لا يموت شيء في ذاكرته .. يمر يوماً في رحلة  
ثانية على الطريق نفسها وحين يصل الى المكان  
الذى حفظ فيه هامته تحت الشجرة يكرر العرفة  
نفسها .. فيتعجب المرافق ويسأله ميده عن السبب  
فيقول : لأن هنا شجرة . أليس كذلك ؟ فينكر  
المرافق ولكن أبا العلاء يصر .. ويبحث المرافق في  
الرمال فيجد جذع الشجرة لا يزال !!! مع ان  
أبا العلاء يغاطب الانسان قائلاً :

سميت انسانا لأنك ناسي ..

اما هو فلا ينسى .. لعله من طينة فوق مستوى  
البشر .. ربما فالمواهب والعدومن الكبرى ترتفع  
بالانسان عن مستوى العادي من البشر .. بل هو :

---

(١) وكان في طريق عودته من بغداد الى المغيرة ..

في الواقع ، قانون التعميض « الذي يمنع الاحساس الداخلي ما فقده الاحساس الخارجي من قدرات ٠٠ » (١) ٠

اما سهولة قوله الشعر الصعب فحدث عنه ولا حرج وهذه اللزوميات بين ايدينا خير ناطق على ذالك ٠ واذا كان أبو المتأهية ٠ يتناول الشعر ( السهل ) من كمه « كما قال ، فإن أبو العلاء يتناول الشعر الصعب من جعبته وذاكرته الراخترتين بكل غريب من غرائب المضامين والأساليب والقوافي ٠ » ٠

روى بعض مؤرخيه حكاية خلاصتها : ان أهل حلب سمعوا بذكائه وهو صغير ، فسافر جماعة من كبارهم لينظروه ويتقعنوه ٠ فقال لهم : هل لكم في المقاافة في الشعر ( او التقافية المعروفة حتى اليوم ) فجعل كل واحد منهم ينشد بيتا ، وهو ينشد من حفظه بيتا على قافية ، حتى نفذ حفظهم فقال : أعجزتم ان يعمل الواحد منكم بيتا عند الحاجة اليه على القافية التي يريد ؟ قالوا : فاقعمل أنت ذالك ٠ فجعل كلما أنشده واحد منهم بيتا ،

---

(١) انظر : أبو العلاء المعربي : متأمل في الظلمات لا دوران امين البستاني من ٤٤ سلسلة المصايب - بيت الحكمة - بيروت ١٩٧٠ ٠

أجابه من نظمه على قافية البيت ، حتى قطعهم  
جميعا ! (١) .

في الواقع ليس عجيبا ولا مستغربا كل هاذا من  
أعمى كأبي العلاء سلاحه في ذلك الزمن السيء  
ذاكرته يغتنم فيها ما يدخله ليوم اللقاء ٠٠ مع  
الشهرة والمجد الأدبي والاستاذية و ٠٠ التحدي ٠٠  
الكبير ٠٠

ثم ان الطريق الوحيد لدى الاطفال العميان في  
الشرق – كما يقول طه حسين – « هو طريق الدرس  
وتحصيل العلم » فينصرفون بكل همتهم الى ذلك ٠٠  
ليغرسوا من ظلماء الحياة وظلم الاحياء موفوري  
الكرامة مزودين بهذا السلاح الماضي الذي لا يقهر  
ولا يفل ٠٠ وهذا تماما ما فعله المعربي ونبع فيه  
الى حد بعيد ٠٠

وفي شمالي سوريا نزل أبو العلاء في دير  
الفاروس وأخذ عن أحد الرهبان العلماء بعض

---

(١) انظر كتاب : أبو العلاء المعربي للدكتورة عائشة عبد الرحمن -  
بنت المشاطي - اعلام العرب رقم ٣٨ ص ٤٠ - وزارة الثقافة  
والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة ١٩٧٥ .

مبادئ الفلسفة اليونانية وعلوم الاقدمين مما جعله يشكك في حقيقة دينه والاديان الأخرى . كما وقف أبو العلاء على تعاليم المسيحية واليهودية وقوفا عابرا ، فأضاف كل ذلك إلى ما كان يعرفه عن الديانات الشرقية من مجوسيّة وزارادشتية وصائبية وبرهنية (١) . . . ما كون لديه مواد شكه فيها جميما . . . ولعل ذلك عائد إلى عدم تعمقه في دراستها ، أو لما كان يراه من زيف رجال الدين في عصره واختلافهم وتناحرهم واتخاذهم الدين وسيلة للكسب الرخيص والتغريب [١] . . . واستغلال الضعفاء منهم . . .

قلت قبل قليل إن أبو العلاء كان أستاذ نفسه بمعنى أن الدين أخذ عنهم كانوا قلة والوقت الذي أنفقه معهم كان قليلا بالنسبة إلى الوقت الذي أمضاه في بغداد وحلب واللاذقية مع الوراقين ودور العلم وخزائن الكتب يستمع إلى خازنها يقرأون عليه الكراريس تلو الكراريس وهو يلتهمها التهاما . . . ثم ينطلق من منزله في بغداد « حاضرة الدنيا » كما يصفها الرجال معاورا كل صاحب علم أو فرقة أو ناد . . . ولو قدر له أن يستمر في ارتياه نادي

---

(١) والبراهمة من أهل الهند يحظرون ذبح الحيوان ويجددون الرسل .

الشريف المرتضى ويبقى الود والاخجاب موصولين  
بين الرجلين – كما كانا باديء الامر – لكان أبي  
العلامة صولات وجولات في عالم الشعر والأدب  
والنقد ولكن أفاد واستفاد كثيراً .. غير أن  
أرستقراطية النادي حالت دون ذلك وحولت مجرى  
حياة أبي العلاء : فمن اقبال على العلم والحياة في  
بغداد ومن صحبة ودودة لأهلها الذين كانوا كما  
يصفهم الزجاج « ملائكة الارض للطافة أخلاقهم  
وخفة أرواحهم » وتبعددهم وشدة اهتمامهم  
واعجابهم بأبي العلاء .. من كل هذا الى نفور  
« وقرف » واعتزال .. ولا نقول .. الى يأس  
وتشاؤم وانقطاع .. فقد كان أبو العلاء بعيداً  
عنها كلها وهو الذي أقبل بكل جوارحه على الدنيا  
والناس لا لستر العجز والعاهة الماديين كما يقول  
معظم المؤرخين ، بل للتحدي ولا ثبات ان من كان  
مثله طموحاً وعلائياً لا تقدمه عاهة ولا يفل من  
عزمه قضاء ..

كانت الدنيا اذن أمه الثانية ومعلمته .. كما  
كانت همته لا زيد من العلماء ولا عمرو من  
الشيوخ .. كان الكراس والكتاب والوراق والخازن  
والنادي وفوقها جميرا همة وموهبة لا تفليان ..

هي في الواقع موارد علمه ومصادر ثقافته وامتيازه .

تلامذته :

ان انساناً كهذا الانسان المظلمة ، المتمدد  
جوانب الثقافة ، الجريء ، المتعدي ، المؤمن ،  
الكافر ، الرافض لشتى مغريات الحياة والسياسة ،  
وحتى دعوة داعي الدعوة الفاطمي للقدوم الى  
القاهرة ، الأعمى ، البصير ، الصريح الهازل الساخر  
الذى لا يخشى في العق لومة لائم ولو كان في حضرة  
نقيب الأشراف ..

انسان كهذا لا بد أن يملأ الدنيا ويشغل الناس  
 تماماً كسميه المتتبلي، وان يكون له معbones وكارهون  
 ونقدون وان يتتلذذ على يديه الكثيرون .. حتى  
 اليوم – وآثاره لم تكتشف كلها – نجد من يجادل  
 فيه : هل هو فيلسوف او بعض فيلسوف ، هل هو  
 اديب ولنوي وشاعر كباقي شعراء عصره .. وكل  
 من الناقد والحاقد والمعجب قد يلما وحدينا – اقر  
 له بالفrade و الامتياز لما في اسلوبه ورمزه وروحه  
 وموافقه من ثورية وانقلابية تخطت مقاييس عصره  
 وبرز عالمي الشاعرية . فتارة يقارنونه ببول فاليري

— كما فعل طه حسين — وتارة ببودلير ٠٠ وأخرى بكيرتس « شاعر الموت » كما أرى أنا ٠٠ وتستمر أستاذيته عبر الأجيال ٠٠ أول تلامذته كان ابن أخيه « أبو الحسن علي بن محمد بن صالح وأبو الحسن علي بن المرة ونسيبه جعفر بن صالح وأبو الحسن علي بن عبد الله متولى أوقاف المسجد بالمرة وولده أبو الفتح وجماعة أخرى منبني هاشم لم يذكر ابن العديم أسماءهم (١) وهاؤلاء كانوا تلامذته كما كانوا كتابه ينسخون له ما شاء من أعمال وتصانيف وشذرات دون أجر ٠٠ الامر الذي شق على أبي العلام فقابله مرارا بالشك والثناء ٠٠

وقد تتلمذ على يديه كثيرون أثناء اقامته القصيرة في بغداد ٠ وكان في الخامسة والثلاثين ٠ أما بعد اعتزاله فقد أصبحت هاره ميادة لطلاب العلم من كل نوع يقصده بعضهم من المرة وأخرون من حلب وكفرطاب والاندلس وتبريز وبغداد والأنبار ونيساپور ٠ وقد ذكر ابن العديم في كتابه (الانصاف والتعري) من أشهر تلاميذه

---

(١) انظر كتاب : ابو العلاء المعربي : متأهل في الظلمات ادوار امين البستاني من ٩٥ منشورات بيت الحكمة مسلسلة المصايبع - بيروت ١٩٧٠ ٠

هؤلاء ثمانية وأربعين استطاع أن يتحقق من أسمائهم  
وترك الباقين فوق العصر . . . ومن ذكرهم علي بن  
المحسن بن علي التنوخي القاضي وهو من أقرانه  
وقد لقيه بيغداد وكان له صاحباً وصديقاً طول  
مقامه بها . وأبو زكريا الخطيب التبريز من أعيان  
القرن الخامس ، والامام أبو المكارم عبد الوارث بن  
محمد الابهر . والفقير أبو تمام غالب بن عيسى  
الانصاري الاندلسي . والخليل عبد العبار  
القزويني . وأبو طاهر محمد بن أحمد الانباري .  
وأبو الحسن علي بن همام ونصر بن صدقة القابسي  
النحوي الذي رحل الى المرة فلازم أبا العلاء . وقرأ  
عليه وأخذ عنه وكذلك فعل أبو عبد الله الصبهاني  
وله صنف أبو العلاء كتابه « ضوء السقط » شرحاً  
لسقط الزند

كما كتبه العلماء والوزراء وأهل القدر  
فلم يأبه بهم وأعطى من أراد منهم علمًا ومعرفة  
واستفساراً ولم يأخذ شيئاً ولا خاف منهم تهديداً  
أو وعیداً . . .

وعندما غيبه الموت وقف على ضريحه ثمانون

شاعرا يرثون ويبيكون مرددين مع تلميذه أبي العسن  
علي بن همام :

ان كنت لم ترق الدماء زهادة  
فلقد أرقتاليوم من جفني دما (١)

مؤلفاته :

لم تكن عزلته الطوعية ورهنه نفسه لمحابيه  
الثلاثة قرارا سلبيا نتيجة فشله في بغداد - كما قلنا  
في البداية - لا ولا هجرا للناس ويأسا منهم وزهادة

بالي الدنيا وأهلها ٠٠ بل كان ذلك ترفا عن التعاطي  
اليومي مع نوع من أهل السياسة والمجتمع  
لا يقدرون المواهب ولا يقربون أصحابها لأنهم خلو  
منها ، وبالرغم من حرصه على الابتعاد ما أمكن عن  
مثل هؤلاء فقد جعل منزله مقصدًا للطلاب العلم  
وقضاء الحاجات ٠٠

هذا من جهة ومن جهة أخرى جعل من معتزله

---

(١) اشارة الى ان ابا العلاء كان يعزم ان ينبع له العيون ليأكل من  
نعمة لرزقه ورهاناته ٠٠ انظر : ابو العلاء المعربي متأنل في  
الظلمات ادوار امين البستاني ص ٣٠ ٠

الطوعي كوة يطل بها على الناس والوجود  
ومستراها يطلق فيه لنفسه حرية القول والعمل ..  
هذا العمل ماذا يمكن أن يكون لأعمى مثقف سوى  
التأليف والتصنيف وتسجيل الغواط ..؟

يد له رحيمة على طلابه وسائليه .. وأخرى  
له غزيرة على كتابه يملئ عليهم ولا يمل الاملاء ..  
فلا مراجع يعود إليها ولا توقف لعوده إلى مخطوطاته  
أو كراس .. الذاكرة الخصبة العجيبة هي المرجع  
الأوحد يستردها فترده .. حتى ليكاد كتابه  
ينوعون بما يكتبون .. ثم ناء الزمن بما خلف  
وصنف .. فضاع أكثر آثاره ..

آثار تجاوزت المائة عدا بين مجلد كبير ورسالة  
لطيفة ولم يبق من بعضها سوى العنوان ..

أما المنشور منها فهو : ١ - لزوم ما لا يلزم أو  
اللزوميات .. طبع لأول مرة في بومباي سنة ١٣٠٣هـ  
١٨٨٦م .. ثم في مصر في مجلدين سنة ١٨٩١ وقد  
اختار أمين الريحاني بعض اللزوميات ونقلها إلى  
الإنكليزية ونشرها في نيويورك سنة ١٩٠٣ بعنوان

« رباعيات أبي الملاء (١) » وكرت بعد ذلك  
الطبعات منها المحقق، وغير المحقق لها ثنا وراء الكسب  
الرخيص ..

يقول أبو الملاء في المقدمة : « ان القافية تلزم  
لها لوازم لا يفتقر إليها حشو البيت » .. وبتعمير  
آخر : يكرر أبو الملاء في القافية حروفًا لا يفرض  
تكرارها عادة في قواعد العروض .. وقد جاءت  
قصائد الكتاب مرتبة على حروف الروي ترتيباً  
ابجدياً .. ولكل حرف أربع حالات من العركات  
الثلاث والسكون .. يقول المؤلف : « وقد تكفلت  
في هذا التأليف ثلاثة كلف : الأولى أنه ينتظم حروف  
المجمع عن آخرها، والثانية أن يجيء رويه بالعركتين  
الثلاث والسكون بعد ذلك .. والثالثة أنه لزم مع كل  
روي فيه شيء لا يلزم ، من ياء أو تاء أو غير ذلك  
من العروف » .. وفي الكتاب – عدا ذلك التكفل  
الثقيل – عطاءات وتأملات وحكم بالفترة حينها لو  
اطلقها أبو الملاء على سجيتها وكما فاض بها  
الخاطر أو « حسب ما سمحت به الفريزة » كما

---

(١) جبور عبد الدور في دائرة المعارف ج ٤ ص ٤٦٤ أبو الملاء المعربي  
- الفره ..

قال (١) .

وفي هذا الكتاب تبرز آراء ومواقف المعرى  
النهائية من الكون والكائن والمجتمع . ذلك لأن  
الكتاب أملٍ في شيخوخة المعرى أو على الأصح في  
ابان نضجه الفكري .

## ٢ - سقط الزند :

نشر بالقاهرة سنة ١٨٦٩ ثم نشر مع « ضوء  
السقوط » بشرح شاكر شقير في ٣ أجزاء بيروت  
سنة ١٨٨٤ ثم في مصر سنة ١٩٤٥ في ٤ أجزاء (٢) .  
يضم الكتاب ثلاثة آلاف بيت من الشعر مما قاله  
 أيام صباه واقباله على الحياة . وهو من أجود  
شعره على رأي ابن العديم (٣) .

ثم شرحه أبو العلاء نفسه تحت عنوان « ضوء  
السقوط » ووقف خاصة على الفريب من الفاظه  
فسرها وقربها إلى الأذهان .

ويلاحظ في مؤلفات أبي العلاء أنها تحمل

---

(١) المعرى ، اللزومات من ٥ طه ، دار صادر بيروت بدون تاريخ ٠٠٠

(٢) مالحة المهاجر ج ٤ من ٤٤٤ .

(٣) ابن العديم : الانصاف والتعرى من ٥٣٥ .

عنوانين رمزية غريبة جاءت نتيجة مقدراته على  
الغوص في أعماق مدلولات الكلمات العربية التي  
تزرع بها لفتنا ذات الاشارات البعيدة والتعابير  
المشحونة بالجرس والظلال والايقاع والمجاز ، الامر  
الذي لا تتأتى معرفته الا من كان مثل أبي العلاء  
تخصيصا بأسرار اللغة وتحسسا برميمها واياعاتها  
وجماليتها التعبيرية والايقاعية بشكل عام . فبدلا  
من أن يسمى هذا الديوان : شعر الشباب أو بوأكير  
القريحة سماه « سقط الزند » امعانا في التورية  
والغموض . والسقوط هو أول النار الخارجة من  
الزند ، والزند هو العود الذي يقتدح به . فكانه  
أراد أن يقول : انه أول شعاع تالق في سراج  
شاعريتي . . . وأبو العلاء في هذه المعنوانين - الرموز  
يبدو معايرا العصره الذي اكتفى بالألاعب البيانية  
العافية . . . هذه الألاعب لم يسلم منها أبو العلاء  
في اللزوميات لاكته تجاوزها وارتفع عنها بما أوتي  
من شاعرية فذة وعمق فهم لأسرار اللغة فلم يتله  
كفيه بالقشور والأساليب الشعرية الروتينية  
الباردة . . . ولم يقف عندها . . . وهي وان كانت  
تلع عليه وتشد به الى متأماتها الا أنها نلاحظ انه  
يعاول التهرب منها والعودة الى صفاء شاعريته

الأصيل . . . كلما سنت له الفرصة وبعد عن آفة  
التقليد والماهأة . . .

أما موضوعات السقط فهي عادية روتينية تدور  
على ما دارت عليه قصائد شعراء عصره من مدح  
ورثاء وفخر ووصف وغزل وشكوى ودرعيات . . .  
وكان أبو العلاء بعد تخطي سن الشباب يكره  
سماعه وكان يقول - كما ذكر تلميذه التبريزى - :  
« ماذا ديوان مدحت به نفسى فانا أكره  
سماعه (١) » .

٣ - رسالة الفرقان :

نشرت لأول مرة في القاهرة سنة ١٩٠٧ وقف  
على طبع وتصحيح النصف الاول منها وهو ١٧  
ملزمة الشيخ ابراهيم اليازجي بتکليف من أمين  
هندية الناشر . لكن المنية عاجلت الشيخ ابراهيم  
فأتم تصحیح الباقي أحد علماء الأزهر (٢) ثم  
نشرت مختصرة مشروحة بعنایة كامل كيلاني بمصر  
سنة ١٩٢٥ . وفي مطلع الخمسينات قامت الادبية  
المعقة المعروفة الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت

---

(١) أبو العلاء اليمري متأمل في الظلمات لابوار أمين البستاني من ٥٣

(٢) دائرة المعارف ج ٤ من ٤٧٤ .

الشاطئ»، بنشرها في طبعة علمية محققة بمصر (١٩٥٠) . وللرسالة ملخص واسع باللغة الفرنسية مع ترجمة بعض المقاطع ظهر في باريس سنة ١٩٣٧ بعنوانة ميسى *Malissa* . أما سائر المستشرقين فقد عنو بالرسالة عنانة فائقة . مثل نيكلسون وسواء لاكتهم ظلو دون مستوى التحقيق العلمي الكامل للنص (١) .

### موضوع الرسالة :

أملأ أبو العلاء هاده الرسالة الجوابية وقد مضى على عزلته قرابة ربع قرن . وكانت شهرته قد طبقت الآفاق العربية وراسله الكثيرون مستفسرين ومستطلعين خصائص هادا الفكر الجديد والشاعرية الفذة . من بينهم «العلامة الفهامة المحدث علي بن منصور العلبي الملقب المعروف بابن القارح (٢)» .

---

(١) أبو العلاء المعربي : متأمل في الظلمات من ٥٤

(٢) كنا في النصفة التيمورية ، تحت عنوان : رسالة لبعض الفضلاء إلى أبي العلاء المعربي . ادب تيمور . والمحققة من قبل الدكتورة بنت الشاطئ .

الذي وجه من حلب الى أبي العلاء في المرة رسالة  
يستوضحه فيها بعض مسائل فقهية . وبدلا من أن  
يجيبه برسالة عادية مباشرة جعله يصعد الى السماء  
ويرى بنفسه كيف جرت وتعبرى الاحكام الالهية .  
ويسأل ابن القارح المخدلين في الجنة : بم غفر  
لكم ؟ والمخدلين في النار : بم لم يغفر لكم وماذا  
جنيتم ؟ ولकثرة ما ورد من أسماء الففران ومشتقاته  
سميت الرسالة « رسالة الففران » وهي من حيث  
التبويب قسمان : الاول استعراض حسي للجنة  
وأنواع اللذات فيها . والثاني اجابات مباشرة عن  
أسئلة ابن القارح .

في القسم الاول تحتشد جميع خصائص أبي  
العلاء الاسلوبيه الحسية والسخرية العقيقية او  
التهكم الملفوز ، وخصائص التفكير الملائي المتميز  
بالعمق وبعد الاشارة الى جانب تنوع الثقافة لديه  
وتعدد مصادرها وغزارة المعلومات الادبية التي  
تخزنها حافظته العجيبة ، فيروح على لسان ابن  
القارح يحاور الادباء والشعراء فيها سواء كانوا في  
الجنة او في النار : ينقدهم ويصحح آرائهم او  
يشني على بعضهم ويبدو أعلم منهم بها .

أعجب أبو العلاء بشخصية ابن القارح ( المولود سنة ٣٥٠هـ ) فهو شيخ سبعيني يتنى بالزهد والزاهدين والصحابة والصالحين ٠٠ أفنى عمره في ما لا يصلح نفسه ويضرب في الارض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً يتبعه الخوف من مكان الى آخر ويتعقبه هزء الناس به : رفيقه يسرق له رسالة ، كلف بحملها وابنته أخته تنهب له مالاً جهد في كسبه ، والذاكرة تخونه فتنسى ما قطع من المسافات في جمعه وأمضى الليالي في عده وحفظه ٠٠

ووجد المعرى الفرصة سانحة حين وجه اليه ابن القارح رسالته المشهورة ليلهمه به بعض حين ٠٠ وان يكون لهوه به عنيفاً وشاقاً يجشمه فيه ما لا يطيق الشيوخ القيام به الا في العالم الآخر فأفرغ المعرى على لسان ابن القارح كل ما في جعبته من عويسن الألفاظ وبعيد المعانى وعميق المفازى وجراح التقد بأسلوب ساخر طال وتشعب حتى غدا كتاباً كبيراً هو « رسالة الغفران » كما أفرغ كل ما يضيق به من الناس وسخافاتهم والدنيا وهمومها فارتفع به خياله الذي ضاق هو الآخر بالأرض ٠٠ الى السماء ٠٠ الى العالم الآخر « فجمع الناس في ابن القارح » على حد تعبير استاذنا الدكتور جبور

عبد النور ، « ونقل الارض الى السماء وجاء باشر  
تتجلى فيه جميع العناصر الفنية التي تجعل من  
صاحبها شاعراً ملهمًا يخرج في صوره وأخياله من  
الدائرة التي نشط ضمنها شعراء العربية (١) » .  
وقد نوهنا - في المقدمة - بما لهذه الرسالة من  
خصائص فنية منها على سبيل التذكير :

١ - النفس المسرحي التمثيلي الذي لم يعرف عند  
فهول المظلولات ..

باء - الغيال الدراميكي الواسع الذي أعاد أبا  
العلاء على الشطح والانتقال ببطله « ابن  
القارح » الى « العالم الآخر » وتركه يتصرف  
بحريمة تامة .. ولو لا ثقل المحاكمات اللغوية  
والمحاورات البيانية والوقوف عند كل كلمة  
شاردة .. ولو لا هذه « الاستاذية » البلاغية  
عند أبي العلاء لجاءت « رسالة الفرقان » آية  
في الابداع المسرحي الذي طلما افتقر اليه  
الخيال العربي والشعر العربي .

#### ٤ - رسائل أبي العلاء :

نشرت في بيروت مشروحة بقلم شاهين عطية

---

(١) دائرة المعارف ج ٤ ص ٤٦١

سنة ١٨٩٤ ثم نشرت عن مخطوطه محفوظة في مكتبة  
ليدن مع ترجمة انكليزية بعنایه المستشرق المعروف  
مرغليوث - اكسفورد سنة ١٨٩٨ ٠ وأمامي كتيب :  
رسائل أبي العلاء المعری مع شرحها لجامعها خليل  
الغوری وناشرها دار القاموس الحديث - بيروت  
بدون تاريخ ٠٠٠ وهي عن نسخة مشروحة بقلم  
المعلم شاهين عطية وبasherاف ومراجعة الشيخ أحمد  
عباس الازهري الشهير ، بتاريخ ١٨٩٤ وتتضمن  
الرسائل في ما تتضمن رسالة الى خال المعری أبي  
القاسم في حلب عند مغادرته بغداد ، ورسالة الى  
أهل المرة قبل قدومه اليهم ٠

#### ٥ - رسالة الملائكة :

نشرت في طبعات غير كاملة في مصر ولينينغراد ٠  
ثم نشرت كاملة ومحققة ومشروحة ٠ قام بذلك  
محمد سليم الجندي ٠ دمشق ١٩٤٤ ٠

#### ٦ - ملقي السبيل :

نشرها حسن حسني عبد الوهاب في مجلة  
المقتبس ٠ دمشق ١٣٣٠ هـ ٠

## ٧ - رسالة التذكرة :

نشرها مع ترجمة فرنسية غبرياں کولن في باريس  
سنة ١٩١١ .

## ٨ - خمس رسائل :

تبودلت بينه وبين داعي الدعاء الفاطمي .  
نشرت في مصر سنة ١٣٤٩ هـ .

## ٩ - عبث الوليد :

نشره محمد عبد الله المدنی بدمشق سنة ١٩٣٦  
وهو تقييم ونقد لشعر البحتری تحدثنا عنه في  
المقدمة .

## ١٠ - الفصبول والغايات :

لم يطبع منه سوى جزء واحد نشرته مطبعة  
مجازی بالقاهرة وحققه « محمود حسن نناتی (١) »  
سنة ١٩٣٨ وهو عبارة عن مقاطع مسجعة موزعة

---

(١) لعل الاجزاء الباقية دون طبع فيها ما يمسه الى المعتقدات  
الدينية . الا ان ابن العديم مؤرخ ابى العلاء ينفي ذلك بشدة .

على حروف المعجم تقرب من نمط اللزوميات . فيها مواعظ وحكم دينية وتسبيح بحمد الله . وهي أول ما ألقى المعربي اثر عودته من بغداد واعتزاله وقد سماه الفصول والغايات رمزا إلى نوعين مختلفين من قوافي السجعات التي اعتمدتها . والذين اتهموه بأنه يعارض فيه القرآن فعلوا ذلك « تعديا عليه وظلما » كما يقول ابن العديم (١) اذ « ان الكتاب ليس من باب المعارضة في شيء » .

## ١١ - رسالة الهناء :

نشرت في مصر سنة ١٩٤٤ تحقيق وشرح كامل كيلاني .

## ١٢ - زجر النابع :

ويرمز بالنابع إلى ذلك الكلب البشري الذي كال له التهم جزافا ملصقا به وصمة الكفر والالحاد مما أخذه من ظاهر أبياته . وحين زجره أبو العلاء في هذا الكتاب لم يذكر اسمه امعانا في تحقيه . نشر بعض أجزائه الدكتور أمجد الطرابلسي (٢) .

(١) أدوار أمين البستاني : أبو العلاء المعربي : متأمل في الظلمات من ٥٥ - بيت الحكم - بيروت ١٩٧٠ .

(٢) بالنسبة إلى رسالة الفخران تحقيق بنت الشاطئ نشير إلى أنه في غفلة من الزمن سطا بعض تصووص دور النشر في أحد البلاد العربية .. على حقوق الطبع والنشر والاقتباس العائدة قانونا للمؤلفة ، فصوروها بالاوفقة دون استثنان المؤلفة .. وباعوا منها الآلاف المؤلفة !! فتأمل ..

هذا ما نشر من مصنفات أبي الملاء وهو قليل جداً بالنسبة لما لم ينشر بعد ، ( وهو يفوق المائة والعشرين عدداً ) بين رسالة وكتاب وشذرات .

### رحلاته :

جاء في وفيات الأعيان : ان المعربي قصد بغداد للتحقّق والاستزادة مرتين . وكان في الخامسة والثلاثين من عمره ثم عاد اليها بعد عام تقريباً . أما مؤرخوه الآخرون فيجمعون على أنه لم يأتها سوى مرة واحدة ومحثّ فيها سنة وسبعة أشهر للانخراط في حياتها الثقافية والاجتماعية وحضور نواديها الأدبية والاستماع إلى ما يدور في حلقاتها من نقاش وجدل عليه يضيف إلى ما كان قد حصله سابقاً في رحلاته القصيرة إلى اللاذقية وطرابلس وحلب وكفرنطات (1) وفي المرة ما لم يكن قد وقف عليه بعد . لا سيما وأن « حاضرة الدنيا » لا تزال تزخر بالكثير من النوادي والحلقات والمكتبات والمؤلفات وكبار العلماء والأدباء .

ثم ان العيادة في المرة ضيقـة عليه لسبعين :

---

(1) لها مصـحة عن انطاكية كما يرجع المحققون .

— اضطراب العيادة السياسية في بلاد الشام : فالحدود الشمالية معرضة للخطر البيزنطي لا سيما بعد زوال حكم سيف الدولة الذي كان حامي تلك الثغور والمدافع ببطولة عنها . . . فلا أمل ولا استقرار ، في حين ان بغداد كانت بآمن من كل هذا . . .

— طموح أبي العلاء الذي لا يجد وتصميمه على أن يبرهن للمبصرين والتربيين على عرش العاج والعلم انه ليس دونهم كفاية ومقدرة . . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، لارضاء نفسه واقناعها بأن مثله لا يقعده عمي مادي . ثم ان بغداد كانت « قطب الرحى » كما يقولون تستقطب كل طالب مجد وشهرة وعلم : ففيها تفاعلت العضارات الثلاث وتمازجت جميع ثقافات الدنيا . . . فمن لم يرها « فكانه ما رأى الدنيا ولا رأى الناس » على حد قول بعضهم . فكيف لا يزورها أبو العلاء . . .

ل لكن مفكراً لم يجد في بغداد بغيته من الناحية العلمية والادبية وان كان قد وجد فيها متنفساً لطموحه وحبه للشهرة وللعيادة : يقول في احدى رسائله : « واحلف ما سافرت استكثر من النشب

ولا اتكثر بلقاء الرجال ، ولكن آثرت الاقامة بدبار  
العلم فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزمن باقامتي  
فيه ٠٠ الى أن يقول : « والله يسبغ عليهم ( أي  
البغداديين ) النعم ، ويحسن جزاءهم فلقد  
وصفووني بما لا أستحق ، وشهدوا لي بالفضيلة على  
غير علم ٠٠ وعرضوا علي أموالهم عرض العج ،  
فصادفوني غير جذل بالصفات ولا هش الى معروف  
٠٠ ورحلت وهم لرحيلي كارهون وحسبي الله  
وعليه فليتوكل المتوكلون » ٠

يفهم من هذه الرسالة ان البغداديين كانوا  
معجبين به مكرمين له ولو لا حادثة جرت له لطالت  
اقامته في بغداد ولما كان اسرع في العودة وفي  
الاعتزال .. ولتفرت حاله غير الحال ..

الأولى : حين دخل يوما على علي بن عيسى  
الربيعى اللغوى الضلائع لعله يأخذ عنه شيئا من  
النحو .. لكن الربيعى كان رغم علمه وفضله  
محمقا . فلما رأه صاح به : ليصمد الاصطبلا !  
وهو الأعمى بلغة أهل الشام .. فخرج أبو العلاء  
لا يلوي على شيء حزينا .. مكتينا .. ولم يعد  
اليه أبدا ..

والثانية وهي الابلغ تأثيراً : كان الشريف الرضي وأخوه الشريف المرتضى معجبين بأبي العلاء مكرمين له ، ولكن هاذا لم يكن لوجه الله ، بل لأن أبو العلاء رثا أباهما « الشريف الطاهر » وقد صادف ذلك يوم قدوم أبي العلاء الى بغداد ، فأحب أن يتقرب الى هاذا الوسط الأدبي العالي ٠٠ لم لا ؟ وهو الكفي قادر على المنافسة والمحاكمة والتحدي أينما كان ٠٠ غير أن أرستقراطية الشريفين وتعصبيهما لكل ما يريانه حقاً جعلا القطعية أمراً محظوماً بينهما وبين أبي العلاء ٠

ومما عجل في ذلك أن مر يوماً ذكر المتنبي في مجلس المرتضى الذي كان يكره أبو الطيب ولا يرى فيه شاعراً فحلاً يعكس المعري ٠ فأخذ الشريف يعدد عيوبه وعيوب شعره ٠٠ فلم يطق أبو العلاء هاذا الهجوم العاقد فقال : « لو لم يكن للمتنبي من الشعر الا قوله : لك يا منازل في القلوب منازل ، لكفاء فضلاً وشرفاً ٠ ففضب المرتضى وأمر بأبي العلاء فسحب برجله ( أو سحل ) وأخرج من مجلسه ٠ وقال للحاضرين : أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ؟ فان لأبي الطيب ما هو أجود منها لم يذكره !

فقيل له : السيد النقيب أعرف ! فقال : أراد  
قول المتنبي :

وإذا أتاك مذمتى من ناقص  
فهي الشهادة لي بأنى كامل ..

لولا هاتان العاديتان وأمثالهما من تعرض بعض  
الأدعية والمترافقين لكرامة أبي العلاء تارة بالتجريح  
وتارة بالتكفير لطالع اقامته في بغداد : المدينة التي  
أحبها أبو العلاء ولم تعبه هي حبا خالصا ..

طريقة عيشه في معتزله :

رغم الصفعات التي تلقاها أبو العلاء في بغداد  
ورغم قراره العاسم بعد ذلك بالعودة إلى المعرفة  
واعتزال الناس ، الا أنه لم يتخل عن مرحه وحبه  
للناس .. للمساكين من الناس .. لطلابه ..  
لطلابي لقائه .. ومعونته .. لا سيما أهل بلدته ..  
فالتشاؤم المزعوم الذي طلما تحدث عنه المؤرخون  
لم أجده له أثرا لا في حديث أبي العلاء المليء بالدعابة  
ولا في تعليقاته الملغوza بالسخرية من السخفاء  
والحمقى والأدعية ..  
حتى ولا في يأسه من صلاح البشر والمجتمع ، ما

دام هاؤلاء لا يتمردون على واقعهم ويرضون  
بالحياة الدنيا . . . كما تمرد هو . . .

يقول المصيصي الشاعر : « وربما تسلى الشيخ  
في بعض أوقاته بلعب الشطرنج (١) ويدخل في فنون  
الهزل فيقول : « أنا أحمد الله تعالى على العي  
كما يحمدك غيري على البصر . وقد صنع لي  
وأحسن بي اذ كفاني رؤية الثقلاء البنضاء » .

وقد ذكره أنه كان اذا نهض لطعامه دخل في  
سرداب لتناوله بعد أن يصرف خادمه حفظا لوقاره  
من أن يُمسأ إليه وهو يأكل على مرأى من طلابه . . .  
وإذا خرج إليهم بعد الاكل ورأوا على جبته بعض  
أثر للدبس أشاروا إلى ذلك متضاحكين فيجيئ بهم  
متضاحكا أيضا قائلا : قاتل الله النهم . . . حتى في  
مواقف العد لا يتخلى عن مرحه ودعابته .

قالوا : حاصر صالح بن مرداب معرة النعمان اثر  
حوادث شفب جرت فيها (٢) فتولى أبو العلاء  
الشفاعة لقومه عند صالح فأسمعه الموري « سبع  
العما » وأسمعه صالح « زئير الأسد » :

---

(١) كان هاما في بغداد وايام الشباب .

(٢) اللرموبيات ج ١ من ٤٩٤ تحت عنوان : سوق النفاق .

تفبيت في منزلي برهة  
ستير العيسوب فقيد العسد  
فلما مضى العمر الا الأقل  
وهم لروحى فراق الجسد  
بعثت شفيعا الى صالح  
وذاك من القوم رأى فسد  
سمع مني سجع العام  
وأسمع منه زئير الأسد  
فلا يعجبني هاذا النفاق  
فكم نفقت معنة ما كسد

الا ترى معي روح الدعاية - ولو مرّة - تنفس  
من هذه الآبيات ؟ ولعل الدعاية نفسها ممزوجة  
بالشفاعة لأهل بلدته هي التي لسها صالح هذا في  
قصيدة مدحية أخرى القابها على مسامعه وكانت  
سببا من أسباب تصالح الرجلين وقبول الشفاعة  
ومفادة صالح المرة قاتلا لأبي العلاء : « قد  
وهبت لك المرة وأهلها » ٠٠٠ شيخ يتوّكأ على أيامه  
التليلة الباقية هذا شأنه مع رجل عسكري يعاصر  
بلدته، وهاته روحه ٠٠ شيخ كهذا لا يمكن أن يكون

متشائما عابسا ٠٠ جادا ٠٠ برم بالناس ٠٠ كل  
الناس ٠٠ فكيف به أيام شبابه في بغداد وغير  
بغداد ٠٠

و سنجد الموقف نفسه والكلام الساخر نفسه في  
رسالة الفرقان حين يلتقي ابن القارح بعض شعراء  
الجاهلية فإذا بين سؤالهم وجوابهم سخرية ملفوزة  
ونقد يضج بالفضيحة الفاحشة أو الفحش الفاضح  
من هؤلاء ومن قصائدتهم وملقاتهم وعلى رأسها  
معلقة امرئ القيس « العجوز الفاجرة (١) » ودع  
عنك شجار بعض الشعراء في الجنة والفناء ورقص  
الأوز وبيت العطينة وحوار ابن القارح معه إلى  
آخر هذه المشاهد الساخرة التي تخفي وراءها  
روحًا لا يمكن أن تكون جادة متشائمة عبوسا ٠٠

وانك لتجد الدعاية نفسها لا تزال تلاحق أبا  
العلاء في أواخر أيامه ، وفي موقف العد أيضًا :  
جرت بينه وبينه أبي نصر هبة الله بن أبي  
عمران » داعي الدعاية الفاطمي مراسلات حول

---

(١) قول المعربي في رسالته : « ان قفا بنك على حسنها وقدم سلها  
لتقر بما يبطل العدل الرضي فكيف بالباقي الباقي قاتلها الله  
عجزوا ! لو كانت ببشرية كانت من أغوى البرية .

أسباب زهد أبي العلاء وامتناعه عن أكل اللحم  
وتعريفه . وقد تناهى إلى مسامع « الداعي » قول  
أبي العلاء :

غدوات مريض العقل والرأي فالقني  
لتخبر أنباء العقول الصعائج

فأجابه داعي الدعاء بقوله : « أنا ذالك المريض  
رأيا وعقلا وقد أتيتك مستشفيا فاتسفي  $\cdot \cdot \cdot$  ثم  
انتقل إلى حلب وطلب من المعربي موافاته إليها  $\cdot \cdot \cdot$   
ولكن أبو العلاء كان قد مات  $\cdot \cdot \cdot$

أوردت الغبر ليظهر لك من هاذا البيت ومن رد  
الداعي عليه ان موقف أبي العلاء لم يكن جادا ولا  
هو رأيه النهائي في داعي الدعاء  $\cdot \cdot \cdot$  والا لما كان  
جواب الداعي ذالك الجواب  $\cdot \cdot \cdot$  وما رأيك بانسان  
لا يتغلى عن روحه المرحة ودعابته حتى في آخر  
لحظات عمره . يقول في رسالته الأخيرة إلى داعي  
الدعاء ، واصفا حاله وما ألل إليه من عجز وانهيار :  
« الآن علت السن وضعف الجسم وتقارب الخطو ،  
وساء الخلق  $\cdot \cdot \cdot$  وصار لفظي من أجل ذالك ( أي  
من خلو فمه من الأسنان ) مشينا ، وجملت سين

الكلمة شيئا فلم يفهم عنى سامع ما أقول ٠٠٠  
يا لها من دعابة مرة ٠٠ ما نكاد نضحك لها حتى  
نبكي منها ٠٠ على حد قول الفرد ده ميسى

أما محابسه : العمى والمنزل والنفس الساكنة  
رغمما عنها في الجسد الخبيث - كما يقول - فلم تكن  
- على مرارتها - مبعثا لأي نوع من أنواع التshawf  
الذى أصقوه به تعجينا وتسرعا ٠٠ فقد ظل المعرى  
بالرغم من كل فساد عصره ولؤم ناس عصره  
والصفمات المتالية التي تلقاها ساخرا متهكمـا  
حزينا على الناس لا من الناس ضاحكا من سغفهم  
وضعفهم أو ظلمهم وكبرياتهم (١) ٠

أما كيف كان يعيش أبو العلاء فهنا تكمن حقيقة  
زهده وقيمةه : فالزهد هو أن تترك الدنيا وأنت  
راغب فيها ، والمال وأنت قادر عليه ٠ ولقد كان  
أبو العلاء في يسر من أمره ، وفي تعفف عنأخذ  
أجره ٠٠ كان راغبا في الدنيا ثم رغب عنها وكان  
قادرا في العالتين ٠٠ كان انسانيا بين الاناسى ثم  
صار انسانيا بعيدا عن الأناسى من أجل انسانيته  
٠٠ كيلا تضيع أو تهان ٠٠

---

(١) انظر الفصول السابقة ٠

اتصل به نفر من الأمراء يسألونه تشريفهم  
بتصنيف كتب لهم فأجاب دون أن يأخذ عليها أجرا  
كما أجاب غيرهم وصنف لهم المشرفات من الكتب  
والتفاسير (١) .

كان لا يقبل مالا الا ما يأتيه من أخواله وكثيرا  
ما رد الفائض منها . ويوزع ما يبقى لديه من  
دناير على خادمه ونساخه الملازمين . على ان أبا  
العلماء لم يعرف الفقر المدقع في حياته كما يخيّل  
للبعض . يقول الدكتور جبور عبد النور في دائرة  
ال المعارف ( ج ٤ ص ٤٥٧ ) : « بل عاش ناعم البال  
في غير ترف ، مؤمن العز في غير اسراف . ولعله كان  
يتناول بعض العائدات من أرزاق أهله ، ويأخذ ما  
يقدمه إليه تلاميذه من الهدايا ، ويرفض كل ما  
يعرضه عليه أصحاب الشأن والنفوذ ٠٠٠ (٢) »  
ويذكر البديعى في « أوج التعرى » ان الشيخ كان  
يجري رزقا على جماعة يقرأون عليه ولم يقبل لأحد

(١) لتفصيل ذلك انظر : ابو العلماء المغرى - بنت الشاطئ من ١٥٣ - ١٥٤ سلسلة اعلام العرب رقم ٢٨ .

(٢) كاتبه رسول المستنصر صاحب مصر فيذل له ، ان اتى إليه ما  
بجيت المال في المهرة فلم يقبل . راجع الصفدي : نكت الهميان في  
نكت العميان من ١٠٥ .

هدية ولا صلة، وكيفما دار الامر فان منزله في المرة  
لا يبدو لنا - على تواضعه - صومعة لا يدخلها  
الهواء ولا الناس .. وساكنه المعتزل لا يبدو راهبا  
متৎساً منقطعاً عن الدنيا منصرفاً الى العبادة  
والجهاد .. ولا هو مقبل على الدنيا بكل نهمه  
الأول وحبه القديم ولا هو رافض لها رفضاً قاطعاً ..  
ل لكنه كاره لها عاتب عليها لأنها لم تعسن وفادته  
وهو الكريم الخليق بها .. أما ناسها فكان بوده  
لو يبقى معهم كل يوم ... لا لكنهم جنو على أنفسهم  
حين جنو عليه وتنكر له، فها هو يتنكر لهم ويهرب  
منهم الى ... ذاته يحتضنها والى ... عقله ، يلوذ  
به .. أما البسمة والعنان والحب فأشياء من صميمه  
حبستها فيه ظلمة الوجود وظلم الموجود وغياب الأب  
والأم والاحبة الأذنين .. تحت التراب .. لكن  
البسمة والعنان والحب لهم .. وكل ما فوق  
التراب .. سراب .. فأين يوزع هذه الشعاعات  
الثلاث وهي من طبعه لا يملك حبسها ؟ لم يبق الا  
العيوان والطير والعشرات والانسان الضعيف  
والديك المستضعف وأديم الارض يرسلها على هذه  
الكائنات المسقعة رحمة وحناناً وحباً ويكون له  
معها موقف أبيوي لا ينفي .. وهذا هو سبب

تعريفه العيون ومشتقاته لا تلك الدعوى الباطلة  
بأنه تأثر بالعقيدة البرهنية التي تحرم أكل  
العيون من كل نوع .. أما أديم الأرض  
فمستضعف بدوره .. يداه كل يوم .. وكل  
لحظة .. فلا أقل من أن نخفف الوطأ عليه .. اذ  
لعله مركب من رفات الآباء والاجداد .. بل هو  
كذاك ..

أما الانسان المستضعف فقد خسر وجوده مرتين:  
مرت يوم ولد ومرة يوم سلبه القوي قيمة ماذا  
الوجود ..

ومهما قيل عن موارد رزق أبي العلاء في معتزله  
فقد كان « غنيا عن المال لا به .. » كان كل ما  
يحتاج الى المال في جسده معطلا .. فلم المال أو من ؟  
الا ما يقيمه الأود ويسد الحاجة اليومية ..

### أبو العلاء المتنفف :

نسارع الى القول ان أبي العلاء كان ذا ثقافتين  
مميزتين : ثقافة لغوية وثقافة علمية فلسفية اذ  
صح التعبير . وتلك كانت سمة العصر على كل  
حال : لم يكن كافيا أن يكون الشاعر موهوبا لكتاب

يصبح شاعراً أو يتعاطى مع الشعر . كان عليه أن يتثقف ، فيلم بكل ما يتصل بالشعر من علوم وفنون إلى درجة التأليف والتصنيف وهذا ما فعله قبله بكثير أبو تمام وأبو عبادة أما المتنبي فقد كان قادرًا على ذلك لاقنه لم يكن مستقراً ليؤلف أو يصنف . . . كان مشغولاً عن نفسه والده وسكنه يطوف في أرجاء الدنيا العربية كل يوم وحين يسكن إلى نفسه يفكر في كيف يخرج منها إلى . . . المجهول . . . وساعة احتجز في مصر . . . حم ومرض . . . وهرب . . .

أما أبو العلاء فان لم يصنف ويؤلف فماذا يفعل وقد عزم على عزلة لم تكن سلبية في نظري كما يحاول بعض المؤرخين أن يفسروها على أنها يأس من الناس وبعد نهائى عنهم و « تشاوُم » قاتل . . . كلا بل كانت عزلة ايجابية مشعة تزيد العطاء لمن يستحق العطاء وتحجب العطاء وتمتنع اللقاء عن هرب منهم في بغداد وغير بغداد من التافهين والحاقدسين والثقلاء . . . لم ينسحب أبو العلاء نهائياً من الدنيا، والا لأنغلق بابه في وجه كل طالب وتنسق في كهف لا يفaderه . . . أو عمود لا يهبط منه

ا ل يصعد اليه مترهبا متنسكا لا يريم (١) او  
كالفزالي الذي سيعتطف ويتصوف في بيت المقدس  
ساترا وجهه بعباته ليشاهد أنوار الربوبية  
وأعلام الصليبيين يسومون بلاد حجة الاسلام سوء  
العذاب (٢) .

كان منسجما مع نفسه - اذن - قبل العزلة  
الطوعية وبعدها - كان قبلها مقبلا على الدنيا  
شفقا بها .. وكان بعدها مجاهدا كبيرا من أجل  
تخفيف هذا الشفف وكبح ذلك الاقبال .. كان  
مع نفسه في مجاهدة يومية عن نظيرها عند الزهاد  
المتراضين .. وبين رياضة ومجاهدة دامتا نصف  
قرن .. سقط الجسد موهون القوى دون احراز  
نصر نهائي .. لقد لعن أبو العلاء الدنيا مرارا  
وصب عليها جام نقمته لافن ذلك كان لشدة حبه  
لها وفرط تعلقه بها .. كانت أمامه كفانية لعوب  
فتنته بسحرها وجمالاتها .. لافنها كانت دون  
مستواه .. كانت بلا عقل .. فلعمتها لعنة عاشق

(١) كالراهب سمعان العامودي هنلا .

(٢) وهبنا فعل حين عياد عن تصوفه الاول هلببا « نداء الاهل والولد »  
والجاه والشهرة والتعليم في نظامية بغداد وتركيز دعائم الاشعرية  
- المؤلف -

فشل في حبه وراح في مجاهداته يقهر ما فطر عليه  
من شفف بها ..

تقول بنت الشاطيء : « وهو حين انسحب منها  
اثر عودته من بغداد لم يكن يبغي أكثر من الظفر  
براحة اليأس منها بعد أن عزت عليه راحة الامل  
فيها .. » ولأبي العلاء نفسه أقوال هي ذوب  
وجدان .. وعصارة قلب هائم بعب هذه الفتنة :  
جاء في « الفصول والغايات » ( وهي كتاب أملاء  
اثر عودته من بغداد واعتکافه ) : « انما أنا رجل  
بلي بالصدى .. لا يجد أبدا موردا فهو ظمان  
أبدا .. أيتها الدنيا البالية ما أحسن ما حلتك  
العالية والنفس عنك غير سالية .. بي طب - داء ..  
فأين استطع وأنا تحت حب الدنيا محب - رازح -  
أثقلني فأنا مكب .. الى أن يقول : « ان أسفى  
على الدنيا طويل .. أحب الدنيا كأنها تعبني ..  
والغريزة عن الرشد تذبني .. أحب الدنيا وألتها  
ليست في .. وقد يئست من بلوغها واليأس مرير  
.. فلام التشوّف والضلال ! .. » ..

وقال في اللزوميات :

ولا تبدين الزهد فيها فكلنا  
شهيد بأن القلب يضم عشقها  
لأنه زهد فيها وكان في زهره مجاهدا :  
أيها الدنيا لعاك الله من ربة دل  
ما تسلى خلدي عنك وان ظن التسلى  
ويمضي على هاذه الوتيرة في مئات من آيات  
اللزوميات وغير اللزوميات .

كانت ثقافة أبي العلاء الأولى أن ثقافة لغوية  
دينية ثم تواكبها الثقافة الأدبية وتلتف الثقافتين  
جميعا الثقافة العلمية والتأملية الفلسفية . وبتعبير  
أدق الفلسفة الماورائية الميتافيزيكية .

أما لماذا الثقافة اللغوية الدينية أولا ، فلأن  
واقعا خاصا قد فرض عليه ذلك : كونه أعمى  
والأعمى يتميز بذاكرة حافظة قادرة على الالتفاظ  
والاختزان ، وبقدرة على التحليل والتعليق  
والربط . ثم كونه في كنف أب مثقف ثقافة لغوية  
وفقهية تتميز بأبوة رحيمة حرصت على تعليم  
الطفل وتقويم لسانه لتعوض عليه ما سلبه أيام  
القدر من نعمة البصر .

فشب أبو العلاء كلها بالكلمة شفنا بالعبارة  
 والفقرة والسبعة والجرم الموسيقي وسرعان ما  
 برب صاحب مدرسة لفوية تختلف أو تبذر مدرستي  
 الكوفة والبصرة الشهيرتين ( الكسائي وسيبوه )  
 وما أثارته من قضايا لفوية شغلت علماء بغداد  
 والقاهرة وقرطبة زمانا طويلا . حتى اذا عرض  
 لها أبو العلاء جاء بالقول الفصل والرأي الأصح .  
 ظهر ذلك في مصنفه « رسالة الملائكة » الذي يبدو  
 فيه علامة عصره في التحقيق اللغوی ورد الكلمات  
 الى أصولها ونقد ما جاء عن السلف نقد خبير بصیر  
 .. وهو في هذا الميدان انقلابي متعدد يکسره  
 الوقوف عند القواعد القديمة ولو جاءت من كبار  
 واضعيها كابن السکیت وسيبوه ، بل يتمدی ذلك  
 الى النقد والتصحیح بأسلوب ساخر مشوق لم يتخل  
 عنه المعری - كما ذكرنا - حتى في مواقف  
 الجد .. ( ١ )

---

( ١ ) هل نقول : « يا رضو لنا اليك حاجة » او نقول : يا رضو فيهم  
 الواو ، فيقول رضوان ( من ) : ما هذه المخاطبة التي ما خاطبني  
 بها احد قبلكم . فنقول : اما كما في الدار العاجلة نتكلم كلام  
 العرب . والهم يرضون الاسم الذي في اخره الف ونون فيبلغونهما  
 للترھیم . ( رسالة الملائكة من ٢٥ ) النظر دائرة المعرف ج ٤  
 من ٤٦٠

ودع عنك رسالة الففران التي وان أثقلتها  
فنيا المحادلات اللفوية ، الا أنها أظهرت مقدرة  
المرى العجيبة في تتبع شوارد اللفة وقواعدها .  
ومعرفته الموسوعية لأدق أصولها وأعنتى أسرارها .  
حتى قال عنه منصفوه كابن الجوزي والبديعي قوله  
يضعه الى جانب المعجزة ٠٠٠

### أبو العلاء والعقيدة :

اذا سايرنا المؤرخين التقليديين والذين لا  
يكلفون أنفسهم عناء السبر والتعري والانصاف  
وييلجأون الى ظاهر القول دون باطنه قلنا معهم  
- هاكذا وبمجانية مطلقة - ان أبا العلاء كافر  
ملحد زنديق ٠٠ ولاكتنا لا نريد أن نكون ببغاءات  
تقلد غيرها وتكرر ما قالوه دون نظر أو تدقيق ٠٠

واذا غضب أبو الوفاء بن عقيل وأبو جعفر  
الزويني وعبد السلام الفزويني ومن تعصبو عليه  
فلن تغضب الحقيقة . نفعل ذلك - اذا وفقنا -  
لا ارضاء لأبي العلاء او لأي عاطفة معينة بل  
انصافا للحقيقة التي طالما طمسها هاؤلاء وجرحوها .

ثم أي ديانين هاؤلاء الذين يهاجمهم أبو العلاء

باستمرار ويفضحهم ؟! هؤلاء الذين أصبح الدين في  
نظرهم سلعة تباع وتشترى ؟ وانقلب جبة وقطانا  
يخفيان وراءهما انسانا عَلَقَة ، فقد كل مقومات  
الانسانية وكل قيم الدين ..

لو كان يملك أبو العلاء أسلحة غير تلك التي  
شهرها في وجه المزيفين لامتنق سيف علي وأبي ذر  
والحسين وأعمله في رقاب لصوص الدين .. لاكته  
كان أعمى البصر نافذ البصيرة سلاحه الوحيد  
ضميره والأصداء المؤلة المتراءكة فيه عن أفاعيـلـ  
زناة الدين ، يملك تلك الكلمة العبرينة الهادرة  
الصرىحة التي تملك أن تنتصر أو تنفجر لاكتها  
لا تملك - لدى الاحرار - أن تصبح بخورا يحرق  
على أقدام الجلادين الذين :

ظلموا الرعية واستجذوا كيدها  
 وعدوا مصالحها وهم أجراؤها  
 في زمن رديء يقتل فيه مثل الحسين  
 ويختلف فيه مثل يزيد !!  
 أرى الأيام تفعل كل نكر  
 فما أنا في العجائب مستزيد  
 أليس قريشكـمـ قتلت حسينا .  
 وصار على خلافتكم يزيد !؟

والصيبة ان جميع من تعمصبو له أو تعمصبو عليه كانوا اتباعيين تقليديين لم تستطع من خلال آرائهم فيه ان نقف على حقيقة معتقده : فآية قيمة تبقى لكلام الزوزني حين ينحدر الى مستوى الكلاب في قوله :

كلب عوى بعمره النuman  
لما خلا من ربقة الایمان ؟

وعبد السلام القزويني معاصر المعرى الذي لفق قصة حواره معه واليک ملخص هذا الحوار القصير الملفق :

المعرى : أأن لم أهج أحدا قط ..  
القزويني : صدقت الا الانبياء !  
المعرى : .....

وحوار ملفق آخر على لسان أحد العاقديين ويدعى القاضي المنازي . أما مصدر التلقيق فواحد : الصفدي وكتابه : نكت الهميان !

القاضي المنازي : اسمع الناس يشككون في دينك  
وسلامة عقيدتك .

المعرى : مالي وللناس وقد تركت دنياهم .  
القاضي : وأخراهم ؟  
المعرى : وأخراهم .. وأخراهم ..  
كل هاذا الماء أو هاذا الافتاء لا يستحق  
الوقف عنده :

أولا لأنه ظاهر التهافت . وثانيا لأنه لا ينسجم  
مع حقيقة اليمان العقلاني والوجداني عند أبي  
العلاء الذي طلما خلا إلى ربه فنماه بأحر الدعوات  
وأصدق الصلوات في قصائد وشذرات ابتهالية  
صادقة رائعة .

يقول أستاذنا الدكتور جبور عبد النور :  
« وليس كالمعرى مصليا وواعظا أفاد من الكلمة في  
المختارة والسبحة الموقفة والقافية الموقمة في  
استشارة هاذا الشعور لدى الانسان العايد ، معبرا  
في كل هاذا عما ورد على السنة ائمة الدين .  
فاستمع اليه يقول في « ملقي السبيل » :  
سبح لالهنا الفلك ، وقدس البشر والملك ، والجسم  
في العفر  
يستهلك ، والمرء بالعارفة يملك ، والنهاج للأخرة  
يسلك

سبع مع الشهب كما  
 سبع - من قبل - الفلك  
 قدس انسان على الارض  
 وفي الجو ملك ..  
 سالمك شيء واذا  
 اطمت فالرحمة لك ..

أما اذا خبت العاطفة ( والايمان عاطفي أكثر  
 منه عقليا ) وقوى « عقله » في تفكيره فلا يقبل  
 بالتسليم ( المطلق ) وينكر أقدس العقائد في نظر  
 المجتمع الذي نشأ فيه .. الخ (١) ، ويما له من  
 مجتمع جهود منهار :

العقل فيه ضائع والدين مضيع  
 والقيم فاسدة مقلوبة ..

أفلأ يحق لأبي العلاء ومن كان مثله ذا جرأة  
 متناهية في قوله العق أن يصرخ في وجه مشوهي  
 الدين صرخته المعروفة وأن يشك حتى .. في الدين  
 نفسه ؟ ! أنها سورة غضب وتنفيسيس كربة لا أكثر  
 ولا أقل ، من مؤمن عقلاني يريد أن يفهم الدين كما

---

(١) د. جبور عبد النور في دائرة المعارف ج ٤ من ٤٦٤ .

يراه هو لا كما يراه الاخرون ٠٠ وأن يرى الله  
بعقله وبصيرته لا بالتقليد أو بالترديد ٠٠ لماذا لم  
يعلّمون العرب على الفرزالي حين شك حتى في العقائد  
الموروثة قائلًا : « اني رأيت صبيان النصارى لا  
يكون لهم نشوء الا على التهود ، وصبيان اليهود  
لا نشوء لهم الا على الاسلام (١) » فتدرك باطنك  
الى طلب الحقيقة فظاهر له ان النّلم اليقيني هو  
الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب  
٠٠ الخ ٠٠ ومعنى ذالك ان الفرزالي قد رفض  
التقليد ليبدأ من جديد واتخذ الشك طريقا اليه ٠  
لم لا نضع أبا العلاء على نفس طريق الفرزالي :  
طريق الشك توصلنا الى اليقين ؟! فإذا بدرت من  
أبي العلاء بادرة شك او كفر أثناء ذالك ، قامت  
القيامة عليه ولم تقدم بعد ٠٠ أما الفرزالي الذي  
شك وأبطل العقيدة الموروثة ولم يؤمن بها الا عن  
طريق الحدس لا العقل ، والذي عطل العقل حين  
أبطل السببية الطبيعية بل أنكر حكمة الله وعقله  
في خلقه الوجود والموجود على أساس تلك السببية  
لا شيء الا ليبرر المعجزة ٠٠ أما الفرزالي ماذا

---

(١) المقتذ من الفضل من ٦٦

فمعدور ومشكور ومؤمن غيور لأنه ٠٠٠ حجة  
الاسلام والمدافع عن حياض الدين والعقيدة  
السلفية الموروثة ٠٠

أما أبو العلاء فملحد كافر وزنديق موتور ٠٠  
لماذا ؟ لأنه شك حينا ( ولم يشك أحيانا ) ٠٠ لأن  
زمنه قسا عليه وأخرجه فآخرجه ٠٠ وأن ناس  
زمانه مسخو وشوهو كل شيء ٠٠ وأول ما مسخو  
وشوهو الدين ٠٠ هل ينتظر من لا يرى بسوى  
منظار العقل أن يهادن هاؤلاء ويقبل دينا أصبح  
الغوبه بين أيديهم ؟! هاذا يشرق به وهاذا يغرب  
هاذا يجعله دين جبر وتعطيل وهاذا يفهمه دين  
خشوية وتجسيد ، أو دين قبول بالمنكر وارجاء  
المعقوبة الى يوم يبعث المجرمون ٠٠

أبو الطيب ادعى النبوة فلم يكفره أحد وأبو  
العلاء لم يدعها ولأكفهم كفروه فيما دون ذلك ٠٠

أبو العلاء صلى وصام وتهجد وأرسل الى  
السماء ابتهالات أين منها ابتهال النساك وذكر  
الصوفيين في خلواتهم دمع ماذا بدعوه وجدفو  
عليه ٠٠

وتفسیر هذه المفارقات كما تقول بنت الشاطئ  
وقولها الصواب : « ان أبا العلاء كان نمطا فريدا  
لا عهد لتلك العصور بمثله ، ومن ثم بقي فيها  
غريبا لأنه ليس من أهلها وصدقت فيه كلمته :

أولو الفضل في أوطنهم غرباء  
تشد وتنسأ عنهم القراء

لقد رفض حياتهم فعاولو أن يرفضوه ..  
وقدو في أمر عقيدته وقاموا .. حكو كفره  
بالأسانيد وكفره من جاء بعدهم بالتقليد » كما قال  
ابن العديم أحد مؤرخي المصنفين .. كل ذلك  
تشويها لصورة الاديب العر المتأضل .. لقد  
استغلو فيه انسانيته وأبوبته ورحمانيته فشووها  
أمام الجماهير وقالو لها انه كافر ليبعدوها عنه ..  
وزادوه تشويها حين صوروه عدوا للمجتمع .. وتشهد  
بنت الشاطئ انه ما كان يوما عدوا الا لأعداء  
المجتمع .. ونسو انه القائل :

ولو اني حبيت الخلد فردا  
لما أحببت في الخلد انفرادا  
فلا مطلت على ولا بارضي  
سعائب ليس تنتظم البلادا

وقالو متشائم يند الطموح في نفوس الشبان  
ونسو دعوته الى العمل وتمجيد العاملين وغطوا على  
أرستقراطية وأنانية أبي فراس حين قال :  
اذا مت ظلماً فلَا تنزل القطر ٠٠٠ وروجو لزهديات  
أبي العتاهية الذي نطق بها وهو غارق حتى الاذنين  
في الترف بقصر الرشيد ٠٠٠ ٠

المصيبة أو المأساة عند أبي العلاء انه شاعر  
وانه حساس ٠٠ وانه ذو عقل ٠٠ وانه في قرن  
لا عقل له ٠٠ ولا دين ٠٠٠

ثم لماذا لا يعمم الشاعر المتأمل الذي يرى الناس  
هاكذا في كل عصر وكل جيل ٠٠ انها مأساة  
الانسانية في كل زمان : مأساة - مهزلة : ما نكاد  
نضحك منها حتى نبكي لها :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة  
وحق لأبناء البسيطة أن يبكيو  
تعطمنا الأيام حتى كأننا  
زجاج ولكن لا يعادله سبك  
وتعلن عليه العرب في كل مرة ٠٠ ويكتفرون به

في البيت الثاني لأنه ينكر حشر الاجساد !!! ونسو  
« كان » .. التشبيهية .. ثم نسو انها زفراة شاعر  
أمام المصير المدمر .. ووقفة طلما وقفها الشعراء  
العاليون أمام المصير الرهيب .. والمجهول المغلق  
يدقون أبوابه بعرقة واصرار ولا يلقون جوابا ..  
ولسوء الحظ .. أو لعنه .. أن مكفريه هم دائما  
 رجال دين أو من يدورون في فلكهم ممن ينكر وينون العقل،  
مع ان الدين يدعو الى العقل والتفكير .. وهاكذا  
تنتفع القضية في نظر أبي العلاء فيحسمها قائلا :

اثنان أهل الارض ذو عقل بلا  
دين وآخر دين لا عقل له !!

ولاكه حسم عاطفي آني سرعان ما نراه ينتقل  
منه الى المعادلة بين الكفتين : كفة الایمان العاطفي  
والبرهان العقلي العسلي :

زعم النجم والطبيب كلاما :  
لا تتعشر الأجساد قلت : إنما :

ان صح قولكما فلست بغاسر  
أو صح قولي فالوبال عليكما  
ها هنا معادلة جدلية فيها من العبث والسخرية

أكثر من تعديل الموقف النهاني أي الفلسفي  
الماؤرائي ٠٠

امام الله :

على ان ابا العلام امام واجب الوجود او الله  
في ازليته وأبديته ولا محدوديته مقر خاشع خاضع  
معترف ٠٠ يستدل عليه ويؤمن به لا عن طريق  
الدين والتقليد بل عن طريق العقل : ومبدأ العلة  
والعلول ، ودليل العناية :

ضلوا عن الرشد : منهم جاحد جحد  
أو من يعد ، وهل لله تعديل  
مولاك مولاك الذي ماله  
ند وخطاب الكافر العاحد  
آمن به والنفس ترقى ، وان  
لم يبق الا نفس واحد  
ترجم بذلك العضو منه ، اذا  
العدت ثم انصرف اللامد (١)

---

(١) اللزوميات ج ١ ص ٢٤٦ ٠

فالله اذن غير مستهدف من غمزات أبي العلاء  
أبدا ولا هو موضوع شك على الاطلاق .. يسبحه  
.. يعترف به .. يراه في كل شيء ..

اما الدين فلا ينافسه من حيث المنطلق : من  
حيث الوحي والتنزيل .. ولكن حين يشك فيه  
ـ وقلما فعل ـ فمن حيث التطبيق ومن خلال  
القائمين عليه .. بل المتأجرين به .. فهو يرى  
بعين البصيرة ابتداء من عصور الاديان الثلاثة  
وانتهاء بعصره ان هذه الاديان شيعة والديانين  
شيعة آخر .. يراها ـ في أساسها ـ دعوة الى العب  
والتحاب ، والصفاء ، والتصافي ، ونكران الذات  
وقتل الوحش في الانسان .. فاذا به يرى العكس  
.. يرى الوحش في الانسان هو المنتصر دائما ..  
ويرى الاديان وقد تنافرت وتطاحدت مع أنها من  
مصدر واحد ولغاية واحدة .. أفلأ يقع له ان  
يتتسائل بعرقة ولوعة وسخرية : يا ليت شعري ما  
الصحيح ؟! بعد ان رأى رجال الدين يكذبون على  
الله ويكذبون على انبائهم ويكذبون على أنفسهم :

فقد كذبت على عيسى النصاري  
كما كذبت على موسى اليهود

انه تساؤل انكاري يفجر في كيان الشاعر نسمة  
مكبوتة .. لا أكثر ولا أقل .. وليس استفهاما  
موضوعيا ينتظر الجواب .. تساؤل فيه من  
الرحمة والأبوة والآيمان ما فيه ، رغم التشكيك  
الظاهر ..

هذا موقفه أمام الله والدين ورجال الدين ..  
وهو موقف عقلاني لا تناقض فيه ولا تكذيب ولا  
مرroc ..

أما الفرق الدينية والمذهبية وأقوالها ومتقدامتها  
المتشعبية الكثيرة فقد كانت لأبي العلاء خواطر  
حولها - لا مواقف - والخاطرة بنت اللحظة وحصيلة  
مزاج عابر تتأثر سلباً وابيجاباً وفق اللحظة وبمقدار  
ما يغيب العقل عن التحليل والاستنتاج والربط ..  
تارة يرى شواهد « جبر » لا يتحققه

أرى شواهد جبر لا أحقه  
كان كلاماً إلى ما ساء مجرور

وتارة يرى الشر في أصل النوع البشري  
وان ردت لأصلي دفنت في شر تربة ..  
وحين يقع في التجسيم لا يكون ذلك منه ايمانا

أو معتقدا بقدر ما هو لمحه عابرة أو استمراضا  
تمثيلي ل مختلف الآراء والمذاهب السائدة في عصره  
.. كانه يريد أن يدللي بدلوه في كل مذهب وكل  
رأي ثم يغادره الى غيره معبرا عنه ببيت أو بيتين  
أو أكثر قليلا .. و كانه يريد أن يتلهي في عزلته  
تلهيا فكريا يداعب هاذا ويفمز من قناة ذاك .. ثم  
ينتهي فاذا هو : لا أشعري ولا معتزلي .. ولا  
حشوي ، ولا جبري .. ولا أرسططاليسي .. ولا  
برهسي .. ولا علوي .. ينتهي كما بدأ .. أصيلا  
.. متفردا محتضنا لذاته .. لأنذا بعقله .. سابقنا  
لزمنه .. والكل بعده ذلك هباء وهراء :

وزهدني في الخلق معرفتي بهم  
وعلمي بأن العمالين هباء

فلا تقليد .. ولا عدوى .. حتى في التأب :  
يتثاءب وحده وعلى طريقته :

تشاءب عمر اذ تشاءب خالد  
بعدوى فما أعدتني الثوباء (١)  
ولن تجده فيلسوفا الا في هاذا .. فاذا كان  
التفرد وتخطي الزمن والحداثة ورفض التقليد

---

(١) وهو يرمز بالتأب الى التقليد الاعمى طبعا .

والسخرية من كل زيف وانعراف والتعبير عن كل ذلك بالكلمة العرة المترورة الموهوبة وال موقف السليم والسلوك القويم ٠٠٠ اذا كان كل ماذا فلسفة فابو العلاء فيلسوف وفيلسوف رائد ٠٠

واذا كان التأمل البعيد واستشراق ما وراء العجب الصفيقة والقيم المتوارثة وتناول كل ذلك تناولا انسانيا رحيمـا ٠٠٠ اذا كان العلم بمجتمع عقلي لانسان عاقل يبنـيه على العـب والفضـيلة ٠٠٠ اذا حلم طويلا بهـذا واراده بكل جوارـحـه وامـكـانـاتـه ثم رأـيـ الحـلـمـ يـنـقـلـبـ وـاقـعاـ فـاجـمـاـ حيث لاـ أـمـلـ لـاـ تـمـنـاهـ وـلـاـ ظـلـ ٠٠٠ وـرـاحـ يـسـتـنـجـ انـ كـلـ حـلـمـ بـاـنـسـانـيـةـ صـالـحـةـ هـبـاءـ وـبـمـدـيـنـةـ فـاضـلـةـ هـرـاءـ ٠٠٠ والـعـيـاـةـ مجـتمـعـ شـرـورـ وـمـسـتـقـرـ اوـهـامـ ٠٠٠ بلـ هـيـ غـابـةـ تـسـرـحـ فـيـهاـ الـوـحـوشـ منـ كـلـ نوعـ ٠٠٠ حتى اذا تـبـعـتـ كـلـ أـسـبـابـ الـفـاجـعـةـ أـمـامـ عـيـنـيـهـ ( ولـلـقـلـبـ الشـاعـرـ عـيـنـانـ ) رـاحـ يـنـفـضـ يـدـيـهـ منـ حـلـمـ الأـثـيرـ وـبـدـاـ يـتـعـاطـىـ معـ الـفـاجـعـةـ نـفـسـهـاـ منـتـلـقـاـ - فـيـ أـقـوـالـهـ وـأـفـعـالـهـ - مـنـهـاـ ، مـغـنـيـاـ آـلـاـمـهـ فـيـ نـشـيـجـ مـرـيـرـ مـعـلـنـاـ : انـ لـاـ أـمـلـ وـلـاـ بـعـثـ وـلـاـ قـيـامـةـ ٠٠٠ وـالـحـلـ ؟ـ الـحـلـ فـيـ اـيـقـافـ النـزـفـ ٠٠٠ وـالـامـتـنـاعـ عنـ الـقـدـفـ فـيـ رـحـمـ الـعـيـاـةـ ٠٠٠ كـيـلاـ لـاـ تـلـدـ المـأـسـةـ مـنـ جـدـيدـ ٠٠٠ وـهـنـاـ

٠٠ ييرز شبع المرأة ٠٠ التي قدسها أما ومربيته ٠٠  
وتغنى بجمالها – ذات يوم – في بغداد وأقبل على  
الدنيا من أجلها ٠٠ ما هو يراها مصدر الحياة في  
دورات تجددها اللامتناهية معتبرا ايها مسؤولة  
فيصب عليها لعناته طالبا عدم اتخاذها زوجة كيلا  
تلد البنين والبنات ٠٠ اذ ما دامت الحياة شقاء في  
شقاء ٠٠ وما دامت المرأة سر هاذا البلاء فلم حياتها  
ولم اتخاذها مصدرأ للحياة وها هو يبدأ بنفسه فلا  
يتزوج كيلا يتسل ٠٠ ولا يسم في تجدد المأساة ٠٠

اذا كان كل هاذا فلسفة فأبوا العلام فيلسوف  
كبير ٠٠ ولتتغذى الحياة مجرى آخر ول يكن العدم  
أفضل منها ٠٠ ما دامت قد جرحت كبرياته وأذلت  
عنفوانه وحطمت حبه وقلبه ٠٠ ويا مرحبا بالموت  
بعد طول مفالة ومكافحة ومعاناة ٠٠ لakan اشواقه  
الجريحة لن تموت وصباباته الملتهبة لن تكتب الا  
إلى حين ٠٠ وها هي تتجسد – في منتصف المجاهدة –  
و قبل الرحيل بربع قرن ٠٠ في رسالة الغفران ٠٠

اذا ما هي رسالة الغفران ان لم تكن متنفسا رحبا  
للاشواق الدفينة والرغائب المكبوتة في أعماق هاذا  
الزاهد المجاهد الذي انتصر على الدنيا بعد حب

وأقبال لakan لواعجه لم تمت (١) وأشواقه لم تزل  
 ولم يغف أوارها في سويداء قلبها . وها هي تجد  
 مسترحا لها ومقيلا في العالم الأرحب : عالم  
 الآخرة : ما هي الأمانة الموعودة وصبايات الشباب  
 الدفينة يلهبها صدى الشوق المغلول وصليل القيد  
 الكثيف الذي كبل نفسه بالعرمان الثقيل . . . ما  
 هي وقد أطلق لها أبو العلاء العنان في حلم عجيب  
 من أحلام يقظته أمان على تحقيقه في رسالة الفرقان  
 خيال أعجب ونفس تواقة الى عهودها الأولى . . . الى  
 حقيقتها المعيبة المقبولة اللاهية والتي حال العالم  
 الاصغر والدنيا العاجلة من تحقيق أقانيحها الثلاثة  
 ( معبة - أقبال - لهو ) فاذا بها تعياما من جديد  
 وعلى الصورة التي أرادها لها حرمانه المسيطر  
 وعزلته القاهرة . . . فمن جحيم المعابس في المرة الى  
 جنة عرضها السماوات والارض تتعج بالحركة  
 وتصطخب بالحياة : عراك ، خصومة ، تشابك  
 بالأيدي ، ملاحاة ، شتيمة ، رحلات صيد ، نزهات ،  
 خمر ، نساء ، أطباق لحوم ، حور عين ( يسحرن  
 ابن القارح لakan يميل عنهن لعلمه انهن من نساء

---

(١) انظر ابو العلاء المعربي ده عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ -  
 من ١٧٦ اعلام العرب رقم ٢٨

كما تتعج جنة الفران بحركة أخرى هي العركة  
النفسية التي لا تقل صخبًا وعنفًا من العركة  
الحسية : فمن اضطراب نفوس المعرومين ، الى حنين  
الموعودين الى خوف وحدر واغراء وانتظار وانفعال  
الى ٠٠٠ ويلف كلتا العركتين نقد وسخرية علائين  
بارعين . اليك مثلا واحدا على ذالك : يمضي بابن  
القارح ملك من ملائكة العنة الى شجر العور ،  
فيكسر ثمرة فتخرج منها حورية باهرة العسن ،  
فيسجد اعظاما لله القدير ، ويختظر له وهو ساجد  
ان هاذه الحورية على حسنها ، ضاوية نعيلة ،  
فيرفع رأسه وقد صار من ورائها ردد ضخم يهوله .  
فيسأل الله تعالى أن يقصر عودها على قدر معين .  
فيقال له : « أنت مغبر في تكوين هاذه الجارية كما  
تشاء » ٠٠

لقد أصبح ابن القارح حر الارادة غير مجبى  
كما كان يعتقد في الدنيا وان الله هو الذي أراد  
له ذالك ( لاحظ النقد الديني ) كما أصبح خيرا  
بمقاييس الجمال وقد بدا كأنه أعرف بها من ربه  
٠٠٠ لفضوله وحرصه على أن تكون له جارية  
حوراء مشوقة القد لا عيب فيها ٠٠

هذا مشهد من مشاهد جنة أبي العلاء القابع في سرداد المرة المظلوم ، مشهد مسرحي حسي يجسد اللذة ويداعب الجمال ويصحح المفاهيم والقيم .. الادبية والدينية .. هذا الأعمى الذي طالما حمد الله على العمى كما حمده غيره على البصر ، لا تجد في جنة « غفرانه » عامة - من أي نوع - لقد انقلب الجميع شباناً أماليد أو حوراً عين .. لعله قانون التعويض مرة أخرى ، وتبليغ بأبي العلاء سخريته في الرسالة الى درجة يخيل لنا معها بأنه لا يؤمن بكل مارأه ابن القارح في الجنة أو النار من مواقف وأوضاع وأحكام ، لا سيما حين تربط بين سخريته ونقده هنا وبين بعض أبيات اللزوميات والفصول والفايات التي يظهر فيها الشك والسخرية وعدم الاطمئنان جلياً واضحاً .

ل لكننا نقول ان ما يظهر في رسالة التفران من سخرية وشك وتجريح ما هو الا امعان بازدراء هؤلاء الأدباء واللغويين الذين لقيتهم ابن القارح في الجنة ووجدهم لا يستحقون ذلك المقام الرفيع اذ وجدهم لا يزالون على حمقهم وسخفهم وتخاصلهم ، وليس شكا في الذات الالهية : في الرسالة عبث عقلي وآخر لغوي وآخر نceği ادبي

لا أكثر ولا أقل ٠٠ يعوض به أبو العلاء عما فاته  
صننه في دنياه ٠٠

وهو في كل ذالك العبث يأتي بالمتع حقا ٠٠  
وهذا من غرائب فكر المعرى وأسلوبه (١) ٠٠  
يغلا كيان هاذا المخروم بكل ما اشتته ويعوضه عن  
كل ما فقد ٠٠ ولم يكن أبو العلاء بعاجة الى كل  
هاذا الخيال العريض ليصف لنا ما تمناه وأحبه في  
الحياة بل نراه يصرح قبل « الفران » وبعدها  
بأنه أحب النساء والاطفال ، والزواج وانجب  
البنين والبنات ولكنه أفلع عن كل ذالك وكرهه  
لأنه هو « الخسيس » الناقص الآلة ٠٠ وأنه لا  
يريد لهم يتما أو ثكلا أو أن يكونوا مصدر عقوق :

لو ان بني أفضل أهل عصري  
لما آثرت أن أحظى بنسل

فكيف وقد علمت بأن مثلي  
خسيس لا يجيء بغير فسل !

---

(١) يضيق المجال هنا في سرد رواح فكر وفن أبي العلاء في رسالة  
الفران . فالاطفال الرجوع اليها ومطالعتها برمتها .  
المؤلف

ومن رزق البنين فغير ناء  
بذاك عن نواب مسقمات

فمن ثكل يهاب ومن عقوق  
وارزاء يجهن مصممات

وينقلب السحر على الساحر ويصبح هاذا المحب  
كارها وهاذا الأب مؤثرا العقم على الایلاد والمعدم  
على الوجود :

أرى ولد الفتى عينا عليه  
لقد سعد الذي أضاع عقيما

فاما أن يربيه عدوا  
واما أن يخلفه يتيما (١)

واما أن يصادفه حمام  
فيبيقى حزنه أبدا مقيما ٠٠

وتراه لا يفتا ينفي زهده ويلع على النفي ٠٠  
 فهو ليس بزاهد بمعنى التنسك والانقطاع عن  
الدنيا ٠٠ انها مجاهدة ٠٠ محاولة قهر للرغبات

---

(١) انظر : ابو العلاء المعربي ده عائشة عبد الرحمن من ١٨٠ وما  
بعدها . سلسلة اسلام العرب رقم ٣٨ .

التي تزدحم في صدره ٠٠ وما أغزرها ، وللامانى  
المراسن التي تملأ كيانه ، وما أكثرها ٠٠ ذالك  
لأنه كان في صراع دائم مع نفسه :

مهجتي ضد يحاربني  
أنا مني كيف أحترس ! ٠٠

فكيف يكون زاهدا مستسلما :

وقال الفارسون حليف زهد  
وأخطأت الظنون بما فرسته

ورضت صعباً مالى فكانت  
خيولاً في مراتعها شمسنـه

ولم أعرض عن اللذات الا  
لأن خيارها عنـي خنسـه

وحين بلفت به المكابدة أقصى مداها والمجاهدة  
أقصى مراتبها وجد الخلاص من كل هاذـه المعانـة  
بالمـوت ٠٠ والمـوت دونـ سواه ٠٠ وبدأ طـيفـه يراـودـه  
عنـ منـاه ويـقـضـ علىـه مـضـجمـهـ الغـشـنـ ٠٠ وـيـرـخـ  
بـهـ شـعـرهـ ٠٠ كلـ شـعـرهـ ٠٠ حتـىـ انهـ فـكـرـ يومـاـ  
بـالـانتـعـارـ «ـ لـوـلاـ انـهـ أـشـفـقـ منـ التـبـعـةـ وـخـافـ غـوـانـلـ

## السبيل بعد الموت ٠٠٠ (١)

وهو يشير الى ذلك في رسالة الغفران : « قد كدت الحق برهن العدم من غير الاسف ولا الندم ، ولكنما أخشى قدومي على الجبار ٠٠٠ (٢) فقد مل العيادة وطال به العمر ٠٠٠ فلم العيش دون آلة العيش ؟ ٠٠٠ ولم الصراع والكبت والعرمان ٠٠٠ ما دام الانسان مقودا برغمه الى البلى ٠٠٠ ولم لا يطلبه الانسان ويسعى اليه بدلا من انتظاره في كل لحظة ٠٠٠ حسبي لذة الانتصار على الموت بدلا من مرارة الاغتيال ٠٠٠ ولكن ٠٠٠ ليكن النصر للموت ٠٠٠ ولو عنة انتظاره الطويل ٠٠٠ ول يكن للشاعر الكبير نصر آخر هو أقوى من الموت وأبقى من العدم :

نصر تجسيده أملأ يرجى وغاية تستطاب ٠٠٠  
نصر غنائه والهدايان به وتعزيق الاحساس بمحنته ٠

و حين رأى أمه رثى نفسه ٠٠٠ و حين رثى أباه رثى آماله وأمانيه ٠٠٠ ومن خلال مراطيه كان يرثى - في الواقع - الإنسانية كلها ٠٠٠ هاذه الإنسانية

---

(١) ابو العلاء المعربي ده عائلته عبد الرحمن من ١٩٦ سلسلة اعلام

العرب رقم ٢٨ ٠

(٢) رسالة الغفران ٠

التي لا تملك مع الموت الا أن تغيب فيه كأن لم  
تكن .. ولا يبقى منها ما يتعدى الموت سوى :  
الفن .. وأبو العلاء كان من بين الخالدين .. لأنه  
كان فنانا كبيرا ..

### أبو العلاء الأديب الملزوم :

عندما قلنا ان شيخ المعرفة لم يكن منتميا الى  
عصره بمعنى الرفض والتنكر للقيم السائدة والتفرد،  
بل الى عصر آخر تحترم فيه انسانية الانسان وتقدر  
فيه المواهب حق قدرها لم نكن نقصد انه غير منتم  
الى مجتمعه وشعبه وأمته .. حتى وهو ينقد القيم  
ويهجو الدنيا ويحقر الانسان كان يهدف الى اصلاح  
الموج واخراج الانسان من حيوانيته وأنانيته اذا  
كان حاكما .. ومن ذله وهو انه اذا كان محكوما  
مستضعفا ..

وبالرغم من عزلته وقوسته على جسده لم يكن  
هاربا ولا ناجيا بنفسه ولا ناسيا هموم أمته  
ومجتمعه .. بل على العكس أصبحت أبوته أكثر  
اشرافا وحنانا وبات متحررا من علاقاته وانتماءاته،  
فيما لو ظلل بين الناس .. أصبح طليق التأمل نافذ

البصيرة قادرا على التمييز والتشخيص ، حرا من  
قيود الرغبة والرهبة ، على حد قول بنت الشاطئ  
لا يخاف حاكما يحدد اقامته وقد حددتها قبله ٠٠  
ولا يخون حقا التماسا لرزق او جاء ٠٠ ولا يلجم  
لسانه رباء وزلفي ٠٠ فهو ما باع الدنيا - على  
تعلقه بها - الا ليشتري كرامته ، وحرية رأيه  
وصدق كلمته ٠٠

المنطلق راسخ الاركان ٠٠ والرسالة جاهزة ٠٠  
والابوة ناضجة ٠٠ وحب المستضعفين في دمه ٠٠  
والعصر الموبوء يرفله بكل صور القهر (١) والظلم  
والاستغلال ٠٠ وهو وحده في الميدان : وانهمرت  
الكلمة المراجح وتفجر العرف - اللهم ٠٠

## مل المقام فكم أعاشر أمة

ظلموا الرعية واستجذروا كيدها  
وعدو مصالحها وهم أجراؤها

فكم قطمو السبيل على ضعيف  
ولم يغفو النساء من الهجوم ..

(١) بالإضافة إلى الفهر الكوني وجبرية الحياة مجيئاً وذهاباً - المؤلف.

وتراه - كالفارابي - يدعو الى مدينة فاضلة  
امامها نبی عادل ، او فیلسوف حکیم :  
متى یقوم امام یستقید لنا  
فتعرف العدل اجيال وغيطان

فقد عم الشر السهل والجبل . والجهاز « عن  
الغيرات محتجز » و « تهامة معدن التهم » و « الشام  
شوم » و « ليس اليمن في يمن » و « يشرب الان  
شرب » ٠ ٠ ٠ ذلك لأن من یسوس الامور لا عقل  
له ولا ضمير :

یسوسون الأئمّة بغير عقل  
فینفذ أمرهم ويقال : ساسة ٠ ٠

اما فقهاء الدين وواعظوه فعا هرون ما كرون ٠ ٠  
يحرمون الخمرة على الناس عند الصباح ويجا هرون  
بشرها عند المساء فلا خجل ولا حياء :

رويدك قد غررت وأنت حر  
بصاحب حيلة يعذ النساء  
يحرم فيكم الصهباء صبعا  
ويشربها على عمد مساء  
تعسها ومن مزج وجرف  
يميل كأنما ورد العساه

يقول لكم غدوت بلا كساء  
وفي لذاتها رهان الكساء ! ..

وإذا كان المصلي يقيم الصلاة ليست شروره  
وأثاثه .. فترك الصلاة أفضل ..

إذا رام كيدا بالصلاحة مقيمها  
فتاركها عمدًا إلى الله أقرب ..

وسكني الصوامع ليست دليلا على النسك  
والتقى :

لعمرك ما في عالم الأرض زاهد  
يقيينا ولا الرهبان أهل الصوامع ..

وشكوى المظلومين تنقلب أدعية حرى يصعدونها  
إلى السماء فستجاب سريعا :

خف دعوة المظلوم فهى سريعة  
طلعت فجاءت بالعذاب المنزل  
عزل الأمير عن البلاد وما له  
الإدعاء ضعيفها من عازل  
— لا شيء في الجبو وأفاقه  
أصمد من دعوة مظلوم

والغير ليس في صيامك أو قيامك أو تصوفك :  
ما الغير صوم يذوب الصائمون له  
ولا صلاة ولا صوف على الجسد  
وانما هو ترك الشر مطرحا  
ونفضك الصدر من غل ومن حسد

أما المذاهب فهي التي أضفت الدين وأفسدت  
اليقين حين وظفت لخدمة الرؤساء :  
انما هاذه المذاهب أسبا  
ب لجلب الدنيا الى الرؤساء  
كالذى قام بجمع الزنج بالبصر  
ة والقرمطى بالاحسأء

ما الحل اذن وما الدواء في خضم هاذا البلاء ؟  
الموت هو الحل ما دام الظلم والدجل والاستضعفاف  
وهدر الكرامات والأنانيات هي البضاعة الرابعة  
واما دام الضعيف المستضعف قابلا قانعا لا يهتز ولا  
يتعرك ولا يثار ٠٠ فليثار له وليتكلم بسانه  
وليعبر عن وجدهانه :

لعل الموت خير للبرايماء  
وان خافوا الردى وتهيبوا  
أطاعوا ذا الخداع وصدقوا  
وكم نصيحة فكذبوا

وغير بعضهم أقوال بعض  
وأبطلت النهي ما أوجبوه

صحبنا دهرنا دهرا وقدمنا  
رأى الفضلاء الا يصحبوه

الى آخر هاذه الصيغات والنقمات والانتقادات التي  
ما كان لغير أبي العلاء أن يصعدها نداء ثائرا حينا  
٠٠ ودعاء رحيمـا حينا آخر ٠٠ وسخرية مـرة أحيانا  
٠٠ بكل الصدق وكل الـإيمان ٠٠

أسلوبـه الأـدبي :

شيء واحد أـسـاء الى أبي العلاء أدـيـبا وـشـاعـرا  
هو : التـعـدـلـقـ التـعـبـيرـيـ والـلـفـوـيـ أوـ ماـ يـسـمـىـ  
بـالـفـرـنـسـيـةـ Préciositéـ (١)ـ وـهـوـ آـفـةـ بـقـدـرـ ماـ  
هـوـ مـيـزـةـ :ـ بـهـ يـفـلـ الـأـدـيـبـ أوـ الـشـاعـرـ يـدـيـ أـدـبـهـ

---

(١) يـذـكـرـنـيـ اـبـوـ العـلـاءـ بـالـأـدـيـبـ الـمـسـرـحـيـ الـفـرـنـسـيـ الـمـشـهـورـ جـانـ جـيـرـوـدـوـ Jean Jiroudouـ (١٩٤٤ـ)ـ فـقـدـ كـانـ مـتـذـهـلـقـاـ وـرـمـزـيـاـ مـعـقـدـاـ وـقـدـ  
عـالـيـبـنـاـ فـيـ تـرـجـمـةـ اـهـمـ اـثـارـهـ إـلـىـ الـعـرـبـةـ الشـيـءـ الـكـثـيرـ لـاـ سـيـمـاـ :ـ  
سـدـوـمـ وـعـمـورـةـ وـمـجـنـونـةـ شـاـبـوـ وـلـنـ تـقـعـ حـرـبـ طـرـوـادـةـ وـالـكـثـرـاـ .ـ

ويثبط همة أسلوبه ويُثقل جناحي خياله ويُصْبِح  
الأدب - خاصة الشعر - الهية لفوية، وعلى الأصل  
أحبية مطلسية تستدعي من القارئ - هاذا اذا لم  
ينفَد صبره - أن يفتح القواميس باستمرار ليفهم  
المراد ويفك اللُّغَز . . غير ان الأديب المتعذر اذا  
كان موهوباً يستطيع ان يخفف من تعذرته بما  
يسبيه على أسلوبه من رمز وخيال وما يضمنه من  
فَكَر . . وهو القائل : يقول أبو العلاء

لا تقييد على لفظي فاني  
مثل غيري تكلمي بالمجاز

وهذا ما استطاع المعرِي أن يفعله فوق أحياناً  
كثيرة ولم نعد نستقل ظله في اللزوميات مثلاً أو  
رسالة الفرقان فقد شغلنا بأشياء أخرى ممتعة كشطحات  
الخيال والسخرية البالفة والدعاَب المضحك (١) .

---

(١) يقول طه حسين : قد نصرف على المفاسِد وعلى الفن الأدبي ان  
ظلتنا ان شعر اللزوميات جيد كلَّه من الناحية الفنية الفاصلة  
وانها المحقق ان الجيد من شعر اللزوميات قليل يمكن ان يستخلص  
في مجلد تحف يجمع الى الجمال الفني خلاصة الفلسفة العلَّمية .  
انظر كتاب « مع أبي العلاء في سجله طه حسين من ١٢٤ وما  
بعدها دار المعارف ١٩٦٣ »

والهوار الشيق والوصف والتمثيل والروح الأبوية والمعاني التأملية البعيدة حتى نسينا ( في الرسالة ) كل ما شحنه من مماحكات لغوية وجدل بيزنطى بين الأدباء واللغويين القدامى حول كلمة واحدة أو قاعدة معينة ٠ ٠ ٠ وكذلك حالنا مع اللزوميات ( ١ ) وسقط الزند ٠

كما يشفلنا المعرى بكثرة التصوير الحسي وحب الاستشهادات المختلفة واللوع بالتحدي واظهار البراعة وكثافة المعرفة والذكاء العاد في ملاحظة اوضاع الحقيقة التي يمدد الناس الى قلبها احيانا وفضح كل ذلك بالسخرية الجارحة حينا والدعاية اللطيفة حينا والنقد والتصحيح بأستاذية ملحوظة في جميع الأحيان ٠ ٠

وإذا زعم العقاد أن رسالة الففران « ليست بالبدعة الفنية ولا بالتخيل المبتكر » ٠ ٠ ٠ فان الباحث المعروف ادوار اميل البستانى يرد عليه قبلنا قائلا : « فلو أخذنا بهذا المقياس ( مقياس العقاد ) ونفيينا الخيال الا عن الدين أتوا بصور

---

( ١ ) مطالعات في الكتب والحياة من ٧٤ ٠

لا تعاكي شيئاً ولا يشبهها شيء ، ولا تذكر القارئ  
بشيء ، لأنقطنا من مرتبة الخيال جميع شعراً  
الارض (١) ٠

وتعن نقول ان هذا الخيال التصويري العسلي  
ديناميكي هي ومتعرك تسيره الروح العلائقية  
الساخرة المميزة والرؤبة النافذة الى صعيم الاشياء  
والاشخاص وحتى الالوان نفوذاً لا يستطيعه  
المبصرون من الشعراً ٠ ولو لا الأستاذية اللغوية  
التي أثقلت هذا الخيال لقلنا ان أبو العلاء قد جاء  
بالمعجز حقاً في تصوير الجنة كما يشهدها المؤمنون  
٠٠ صعيع ان كل ما فعله أبو العلاء هو انه  
( استطراف شيئاً تليداً ) كما يقول طه حسين غير  
ان « عميد الأدب » العربي في الثلاثينات غاب عن  
باله ان « استطراف التليد » عملية داخلة في صعيم  
الصنيع الفني لا سيما حين يفعل ذلك أديب موهوب  
وشاعر مبدع كأبى العلاء بحيث يخرج القديم على  
يديه وكأنه بعث من جديد حياً مشعماً مشحوناً بخصائص  
الشاعر الذاتية من حيث التصور والفهم والذوق

---

(١) أبو العلاء المعربي - متأمل في الظلمات ادوار امين البستاني من  
١٤٧ مسلسلة المصايبع - بيت الحكم - بيروت ١٩٧٠ ٠

يسيره عقل وروح جديدان ويطفى عليه أسلوب فريد . زد على ذلك ان أبا العلاء استطاع في رسالة الفرقان أن يرتفع بالأسطورة الى مستوى الاحتمال والامكان وأن يضمنها فلذات من الاشارات الادبية والتاريخية والمقائدية فيجعلها واقعا معاشا في ثوب أسطورة ، أو أسطورة في ثوب واقع (١) .  
وإذا الكل يصبح بالحياة .

حتى العروض والمقاطع والفردات والعبارات والأسباب العروضية والروي والقافية لها في فمه مذاق خاص يليوكها ويتلذذ بها كسكرة تحت عرق لسانه . لاكتها سكرة لا تذوب نهائيا بل تبقى تمده بالعلاوة ما شاء . وهي أحيانا تنهر على أذنيه انهمار العيادة في العروق او تضيع وتصطخب كما السمفونية ولا نشاز . او تتبعده في الظلمة الدامسة المعيبة به كائنات حية : تحس ، تفكر ، تتمنى و تتالم . اسمعه يسخر على طريقته بعلماء الصرف والنحو :

---

(١) انظر رسالة الفرقان : منزل العطيبة في طرف من اطراف الجنة .. وابنها ذلك . من ٢٠٢ .

اتت علل المنون فما بكاهم  
من اللفظ الصحيح ولا العليل

ولو ان الكلام يحس يوما  
لكان له وراءهم أيل (١)

وحيث يتحرر أبو العلاء من « العقدة اللغوية »  
في شعره أو قبل أن « يشرب عقله العائز ماء الشعر  
ورونقه (٢) » وكان ذالك في مراحل تفتق شاعريته  
الأولى ، نجده ينطلق بطبيعة على سجيته ، وبأسلوبه  
على سهولته وعفويته مع عناء ملحوظة بهندسة  
التعبير لجهة بلاغته كالتقديم والتأخير والنداء  
وتجاهل العارف والطباقي دون اكثار أو تعلم أو  
تعقيد .

نلاحظ ذالك بوضوح في سقط الزند وهو من  
بواكيه أبي العلاء الشعرية حيث ينساب الشعر  
انسياقا أو يضج ضجيجا حسب انهمار العاطفة  
وصفيها وهي عاطفة جياشة صادقة في الحالتين .  
وخير مثل على ما نقول قصيدة الرائعة :

---

(١) دائرة المعارف ج ٤ من ٤٦١ ده جبور عبد النور .

(٢) على حد تعبير أدوار أمين البستاني .

غير مجد في ملتي واعتقادي  
نوح باك ولا ترنم شادي

فهي في ميزان الفن قطعة فنية خالدة خلود الصدق  
والغموض والتأمل الفلسفى في حقيقة الحياة والأحياء  
.. قطعة ارتفعت عن مناسبتها العزينة الخاصة الى  
أن أصبحت مرثأة للإنسانية كلها ..

كانت رثاء لأحد أصدقاء أبي العلاء ولداته (١)  
.. فأصبحت رثاء لكل إنسان ولكل وجود .. كل  
ذلك في ترابط توليدي مدهش بين الأفكار واندفاق  
للمشاعر المأساوية التي يعس بها الشاعر احساسا  
عميقاً وصادقاً .. والمدهش في هذه المرثأة أن  
الأسلوب فيها لا يطغى مطلقاً على المعانى فلا تعقيد  
ولا تله ببروي أو قافية أو غير ذلك مما ستره في  
اللزوميات ومصنفات العزلة العلائية .. ومن هنا  
استنتج النقاد المعاصرون صدق العاطفة فيها ولم  
يجدوا أبا العلاء ينصرف عنها إلى العقل وتعقيداته  
إذ لا يزال العقل العلائي - هنا - في بدايات تعلمه  
ومعرفته وغناه .. فانصرف شاعرنا بكليته العاطفية

---

(١) ويدعى أبا حمزة وهو فقيه من فقهاء المذهب الدقى ، خطيب  
يدعو إلى الخير ورواية ثقة ، وناسك ..

الى صديقه يرثيه أصدق الرثاء وأشده وقعا على كل نفس .. فنجح في هاذا كل النجاح وحلق في أجواء التأمل الفاجع بمصير الانسان والانسانية ، وصاغ هناك حكمته التي بلورها ومسحتها العاطفة بزيت الصدق والمشاعر النبيلة فاحسستنا كأنها مرثاة لكل واحد منا فأشجانا .. وبكى وأبكي (١) !

### العقل امام بلنبي :

مرة أخرى يتتجنى الباحثون ، بعض الباحثين ، على أبي العلاء فيسلبونه حقا نحاول نعن هنا أن نرده اليه .. وهو حقه الصرير بلقب فيلسوف أو على الأقل متكلسفة .

فلسفة باسكال تبدأ في اثبات انيته بالكونجيتتو الشهير : أنا أفكر اذن أنا موجود

وأبو العلاء قبل باسكال بأكثر من ألف سنة أحس بانيته وبوجوديته حين ألح على امامه العقل ونبوته في فهم كل وجود والتوصل الى كل حقيقة حتى حقيقة الدين ان لم تكن خاضعة للعقل فهي

---

(١) انظر الى هذه المرثاة في المتنقبات المثبتة اخر الكتاب .

ليست بحقيقة . وحين تعاملت الفوغاء بالدين وحدها ونأى المقلاء عنه أو أدعىاء العقل في زمانه تمسك هو بعقله ورفض الدين كما فهمه المتأجرون به أو كما تمسكت به الفوغاء تمسكًا ايمانياً أعمى .. ثم هاذا التفرد العلائي باحتضان الذات والانطلاق في فهم نفسه وحقائق وجوده من خلال العقل لا النقل أليس في هاذا اثبات لانتيته أو هويته واللاح عليها ؟ !

صحيح ان باسكال فيلسوف وصاحب المنهج والطريقة الرائدين ، لاكن أبي العلاء بایمانه المطلق بالعقل يبدو لنا فيلسوفا – ولو بغير طريقة او نهج – لا سيما حين تخلى كثيرون من فلاسفة الاسلام عن العقل قبل أبي العلاء وأمنوا بالعدس او الفيض طريقا الى المعرفة الحقيقة كالأفلاطونيين والأفلاطونيين والتصوفة ، والاشاعرة . وبعده كالغزالى وسائل الفرق الاسلامية المتأثرة به . هاذا الفرادة لأبي العلاء من بين أكثر الشعراء وال فلاسفة العرب تهيب بنا الى الوقوف طويلا أمام ماذا الأعمى – البصير وهذا الشاعر المتأمل الفيلسوف ، اذ ليس عيبا على المفكر – الشاعر ، أو الشاعر – المفكر لا فرق ، الا يكون له نهج معين أو موقف موحد امام

قضايا الله والطبيعة والانسان والمجتمع والمصير  
وحقيقة النفس : مبدأها ومتناها ..

حسبه وحسب أبي العلاء انه كان فيلسوفا من نوع آخر : نوع جديد .. غير تقليدي. ولا اتباعي يرى في العقول اليونانية أو العقل الأرسطي خاصة منتهى الابداع فيقف عندها أو عنده ، وقفه تلميذ خاشع أمام أستاذه مت Hib ٠٠ لا ينبس الا بما يقوله أستاذه ولا يتعرك الا باشارته منه ولا يفكر الا بعقله ..

لقد تعالى أبو العلاء عن كل هذا وفهم الوجود والموجود وجميع العقائق بعقله هو – وعلى طريقته الخاصة – لا بعقل الآخرين مهما كانوا .. انه بتعبير آخر فيلسوف انتقائى يعجبه هذا المذهب فيقول به .. ويحلو لعقله ذاك فيؤمن .. ثم ان وجده – بعد التحليل المقللي الاخير – غير صالح او فاسدا رفضه ونادى بغيره وهكذا هو بين انتقام واختيار وغربلة ، يبرز دائما فوق الجميع وبحرية مطلقة وفرادة قل نظيرها ..

وتحن اذا فهمنا الفلسفة فهنا كلاسيكيا محدودا وانها طريقة ونهج وقدرة على التجريد الذهنی

والاستقراء والمنطق سقط تحت الفربال جميع  
الفلسفه القدامي ما عدا أرسطو . . وفي النهضويين  
ما عدا باسكال . . وعذرا من جميع المقتبسين  
والملقدين من فلاسفة المسيحيين والمسلمين واليهود .

أما اذا اعتبرنا الفلسفه بالقياس الجديد – نظرة  
صائبة الى الوجود والوجود مجرد مجرد عن الهوى . .  
عقلانية باستمرار . . على تخلخل أحيانا واضطراب  
ولاكن على اخلاص وفرادة واصرار . . فان من  
كانت هاذه صفتة وذاك اتجاهه فهو فيلسوف . .  
شاء التقليديون أم أبو . . لا سيما اذا رأينا  
شئونه وعصره وخصوصيته .

يقولون ان « فلسفة » أبي العلاء لم تكن تخلو  
من الخيال والعاطفة . . وقبله أفلاطون لم تكن  
تخلو فلسفته من الخيال والعاطفة والأسطورة ، مما  
جعل تلميذه أرسطو يشن عليه حربا لا هوادة فيها  
ولاكنه رغم ذلك لم ينزع عنه صفة الفلسفه . .

ترانا نغالي ونشتط في هاذه المقارنة أم ماذا ؟  
لا شك ان التقليديين من المؤرخين وأصحاب الافكار  
الجاهزة سلفا ، سوف ينكرون علينا هاذا التطاول .

على عمالقة الفلسفة في الشرق والغرب حين نقارن بينهم وبين أبي الملاء ولو من زاوية واحدة : زاوية التأمل البعيد في الكون والكائنات والنظرية الصائبة فيها : صائعين في وجهنا : هاؤلاء أصحاب نظام ومنهج وموقف معروف ومبادئه جاًءو بها فما ينـ ظـام صـاحـبـكـ وـمنـهـجـهـ وـمـوـقـعـهـ وـمـبـادـيـهـ ؟

نـظـامـ صـاحـبـيـ - أـوـلاـ وـبـكـلـ بـسـاطـةـ - اـنـهـ كـانـ صـادـقاـ مـعـ نـفـسـهـ مـخـلـصـاـ لـوـحـيـ عـقـلـهـ . وـمـنـهـجـهـ اـنـهـ كـانـ مـبـدـعـاـ لـاـ مـقـلـدـاـ وـاـنـتـقـائـاـ لـاـ خـاصـعـاـ اوـ مـسـيرـاـ . وـمـوـقـعـهـ : اـنـهـ كـانـ ثـائـرـاـ اـنـقـلـابـيـاـ ، كـلـ حـقـائـقـ الـوـجـودـ لـدـيـهـ قـابـلـةـ لـلـتـغـيـرـ وـالـنـقـدـ وـالـسـخـرـيـةـ اـحـيـاناـ ٠٠ لـاـ شـيـءـ ثـابـتـاـ عـنـدـهـ ٠٠ لـاـ مـقـدـسـاتـ ٠٠ لـاـ حـقـائـقـ الاـ مـاـ خـضـعـ لـسـلـطـانـ العـقـلـ وـالـمـقـلـ وـحـدـهـ (١) ٠٠ حـتـىـ اـذـاـ عـجزـ المـقـلـ عـنـ اـدـرـاكـ حـقـيـقـةـ مـاـ فـلـيـسـ هـاـذـاـ عـجزـ! مـنـ الـعـقـلـ فـيـ حـدـ ذـاـتـهـ بـلـ هـيـ مـرـحـلـةـ تـطـوـرـ بـلـنـهـاـ الـمـقـلـ فـيـ سـيـرـهـ الـوـاـنـبـ وـنـمـوـهـ الـمـطـرـدـ وـلـمـ يـسـتـطـعـ مـعـهـ اـدـرـاكـ تـلـكـ الـحـقـيـقـةـ اـدـرـاكـاـ تـاماـ . وـسـيـأـتـيـ حـيـنـ مـنـ الـدـهـرـ عـلـىـ هـاـذـاـ الـعـقـلـ يـصـلـ فـيـهـ اـلـىـ كـلـ شـيـءـ وـيـدـرـكـ كـلـ حـقـيـقـةـ ٠٠ أـلـيـسـ الـعـقـلـ نـبـيـاـ فـيـ نـظـرـ

---

(١) الا يـذـكـرـنـاـ اـبـوـ الـمـلـأـ بـالـفـلـيـسـوـفـ الـفـرـنـسـيـ السـافـرـ فـوـلـنـيـرـ ؟

أبي العلاء ؟ والنبوة جزء من الألوهة أو شيء قريب منها ..

أما مبادئه : فليست من النوع التجريدي الاستقرائي الذي يصوغ المفاهيم من الخصوصيات بل ان مبادئه تجسيدية وبكلمة أصح: للمربي آراء ومبادئه منتزعه من صميم الواقع المعاش والمقائد السائدة : يتعامل معها .. يعاورها .. يرفضها .. يعلو عليها مكونا له مبادئه مقابلة هي النقيض دائما ..

ثم هو فيلسوف لأنه كان من دعاة العقل مبشرًا بامامته ونبيته في عصر فقدت فيه القيم وشوهد العقائق .. واستبعد العقل .. بل استبعد ..

بالعقل حمى حريته وكرامته وبه سخر من المقلدين وتعالي على الظالمين والدعاة ، وبه فضح المزيفين والمتاجرين بالانسان وبالدين .. تبعه قائدا واماً ومستشارا بل نبيا :

كذب الظن لا امام سوى العقل  
مشيرا في صبحه والمساء

فإذا ما أطعته جلب الرحمة  
عند المسير والارساع

ـ أيها الفران خصصت بعقل  
فأسأله فكل عقل نبى  
ـ فشاور العقل واترك غيره هدرا  
فالعقل خير مشير ضمه النادي ٠٠

ويعجبه من أرسطو منطقه وبرهانه فيدعوه اليه  
والى اجتناب ما يبطله :

ولا تصدق بسا البرهان يبطله  
ف تستفيد من التصديق تكذيبا

ويربط أبو العلاء الفساد في المجتمع الى عدم  
الاصناء لصوت العقل واتباع الهوى والفرض ٠٠  
اليس هذا هو سبب الفساد في كل عصر ؟  
والمتهمون السورة ـ لا علماء الفلك ـ الذين  
يرجمون بالفيسب : هاؤلاء يسيئون الى العقل كثيرا  
حين يبطلون دوره الاوحد في فهم حقائق الأمور :

سألت منجها عن الطفل الذي  
في المهد كم هو عائش من دهره ؟

فاجابها مئة لياخذ درهما  
وأتى العام وليدها في شهره ٠٠

لاحظ السخرية التي لا يتغلى عنها أبو العلاء  
في كل ما ومن ينقد ٠٠

أفلا يقع لنا أن نسميه بعد العاخط فيلسوف  
السخرية في الأدب العربي ؟

اسمعه يتابع ساخراً ومشفقاً في آن :

شكا الأذى فسهرت الليل وابتكرت  
به الفتاة الى شمطاء ترقيه  
وأمه تسأل العراف قاضية  
عنه النذور لعل الله يبقيه  
وأنت أرشد منها حين تحمله  
الى الطبيب يداويه ويستقيه ٠٠

انه يؤمن بالعلم ويهزاً من العرافين والسحرة الذين  
يستغلون سذاجة المعموم ويهزءونهم ان الرقى  
والنذور تشفى الامراض ٠٠ كما يهزاً بالذين  
قالوا ان السودان اختصوا باللون الاسود لأن جدهم

حام دعا عليه أبوه نوح فاسود لونه ٠٠ وقد سبق  
بهذا ابن خلدون بنحو أربعة قرون :

ما اسود حام لذنب كان أحده  
لكن غريزة لون خطها الملك

أما في الماورaines وبعض أسرار العيادة كخلود  
النفس والحساب والبعث فان العقل يدركها على  
نحو من التجريد أو هو يفهمها فهما نظريا ٠٠ أي  
يخضمها للقوانين العامة وبالتالي يمنطقها اذا صح  
التعبير ٠٠ لاقنه لا يحسم فيها – كما يفعل في  
المحسosات – بل يحدس ٠٠ يظن ٠٠ يطمئن ايمانه  
ويرضي فضول العقل دون أن يملأه يقينا :

سالتموني فأعيتنني اجابتكم  
من ادعى انه دار فقد كذبا

اما اليقين فلا يقين وانما  
اقسى اجتهادي أن أظن وأحدسا

غير ان هذا لا يعني أن يستبدل العقل بأداة  
آخرى – كما فعل الفزالي والمتصوفة والاشراقيون  
اجمالا – وظل أبو العلاء مؤمنا بالعقل معتمدا عليه  
رغم بعض قصوره ٠٠ وهذا ميزة علمية فلسفية

تضعيه خارج عصره وتقربه من الفلسفة المقلانيين  
النهضويين ٠٠

وان عقلا لا يرفك بكل شيء ولا يقدم لك  
حلولا لكل قضية أو جوابا عن كل سؤال وتبقي تلخ  
عليه و تستنجد به ولا تلوذ بغيره ٠٠ ان عقلا كهذا  
ليشقى صاحبه ويضئيه ٠ وأبو العلام شقى بعقله  
وأضنه ٠٠ حين جعله اماما فما هداه ونبيا قلما  
خلصه أو شفاه ٠٠ لاكنه ما تنكر له ولا كفر به  
- كفيه - بل خلل يطلب منه الجواب ٠٠ ولا جواب !  
٠٠ انه شقاء أصحاب العقول أمام المجهول ٠٠ وما  
أمره ! ٠ ويعجبني قول للباحث نجيب مخول في هذا  
المجال : « شقاء الوجود في الوجود دواؤه ، وشقاء  
الحياة في الحياة شفاوته ٠ لكن الوجود والحياة شيء  
وفهم الوجود والحياة شيء آخر ٠ الوجود سخرة ،  
ان شئت ، يمكن الانسان تحملها ٠ أما محاولة فك  
لنز الوجود والحياة فسخرية لم يتمكن الانسان ،  
حتى الآن ، من الاقلاع عنها (١) ٠  
وإذا كان المجتمع قد فسد في أيامه فلان الناس

---

(١) انظر كتاب : الفلسفة العربية في موضوعات موسعة من ١٩١  
نجيب مخول منشورات مكتبة الطوان - بيروت ١٩٧٠ ٠

– حكامًا ومحكومين – لم يعملا العقل في تدبير شؤونهم ولم يصنفو إلى ندائهم في التعامل والتعايش وتفسير القيم والقوانين .. وكان البديل : سيطرة العواطف والأنانثيات والمصالح الخاصة ..

انها الآفة المستمرة حتى يومنا هذا : تعطيل دور العقل ..

ومن هنا نجح أبو العلاء في نقد كل فساد والهزل بكل شاذ ..

وفي رأي أحمد أمين ان سبب نجاح أبي العلاء يعود إلى أمرتين :

الأول : ان الأمور الاجتماعية والأخلاقية التي نقدتها هي من صميم اختصاص العقل : « فالعقل آداة صالحة لربط الأسباب بالأسباب .. والأمور الاجتماعية والأخلاقية تجرب تحدث فتحدث نتائجها تظلم المسؤولين والحكومات فتسوء حال الأمة وتبدل حالها .. .. ..

والسبب الثاني : ان ناقد هذه الأمور متمنع بكثير من العربية .. ، الخ (١) ..

---

(١) انظر كتاب مقام العقل عند العرب .. ١٥٤ قدرى هافظ طوقان ..

## العقل أمام الله :

لم يكن شك المعرى في الماورائيات ناتجاً عن جهود لوجود الله .. بل لأن ستائر الغيب والمصير كثيفة لا يستطيع نور العقل أن يغفف من كثافتها وبالتالي فلا يقين بل شك مؤقت أي تعليق حكم .. إلى أن يهتدي العقل يوماً في تطوره وتساميه ..

أما الله فلا شك في وجوده لأن العقل هو الذي يهدي إليه ويدل عليه لا الأديان ولا الانبياء .. العقل يعتم أن يكون لهذا الفلك الدائري بانتظام مدبر قادر أحکم قوانين دورانه .. ولهذا المخلوقات خالق عظيم « خلق الإنسان في أحسن تقويم » وخلق لكل شيء قوامه ونظامه .. وهذا ما قالته الفلسفة وأكملت الحكماء :

فلك يدور بحكمة      وله بلا ريب مدبر  
- فالهلال المنيف والبدر والفرقان والصيبح والشري والماء  
هذا كلها لربك ما عابك في قول ذلك الحكماء

أمام كل هاذه العظمة يقف - بل يجب أن يقف - العقل خاشعاً مقدساً والانسان محتسباً منيباً .. فالله يعرف بالدليل العقلي واستقراء

حقائق الأشياء ٠٠ أما كيف هو وأين هو وما صفاته فامور لا طاقة للعقل بها ٠٠ وقد ضل ضلالاً كبيراً كل من بحث في ذلك كالمعتزلة والأشاعرة وعلماء الكلام عموماً وفلاسفة الإسلام خصوصاً حين قاسوه على ما يعرفون من صفات الإنسان ٠٠ فانتهوا إلى خبط وعسف وكذب :

أما إله فأمر لست أدركه  
فاحذر لعيلك فوق الأرض اسخاطاً  
يغترونك عن رب العلي كذلك  
وما درى بشؤون الله إنسان  
والله أكبر لا يدنو القياس له  
ولا يجوز عليه كان أو صارا ٠٠

فلاه أبي العلام سر يعلو على كل بحث ويستغلق  
على كل فهم ل لكنه يعرف من خلال مخلوقاته ٠٠  
انه إله منطقى - كلاه أرسطو - وليس إله  
الاديان ٠٠ أو كما فهمه علماء الكلام ٠٠

أما المنية الالهية أو ما يسمى بال الأجنبية  
 فقد فهمها أبو العلام فهمها  
La grâce divine فلسفيياً خاصاً . فالله لا يهتم بجزئيات الأمور ولا

بالأفراد أشرارا كانوا أو أخيارا ٠٠ وحين يقع  
الظلم أو ينزل الخير في بلد فليس لأن فيها ذالك  
الشرير أو هذا الخير ٠٠ بل لأنها أقدار مقدرة  
وقوانين محكمة ونوانيس تجري الطبيعة بموجبها،  
وحين يقع المقدور فليس لعقاب الأفراد أو ثوابهم ،  
اذ لا شأن لهم كافرداد في نظر الله :

تورعوا يا بني حواء عن كذب  
فما لكم عند رب صاغركم خطر  
لم تجديو لقيبيح من فعالكم  
ولم يعثركم لحسن التوبة المطر  
- وانما هي أقدار مرتبة  
ما علقت بأساءات واجمال

وهو ينكر العبرية ويقول بعريمة الارادة  
الانسانية كما قالت المعتزلة لأن ذالك يتنافى مع  
العقل ومفهوم العدالة ولا يجوز على الله أن يجازي  
المجبر ٠٠ تماما كما قالت المعتزلة :

ان كان من فعل الكبائر مجبرا  
فعدا به ظلم على ما يفعل  
اما أبياته الثلاثة الشهيرة :

قلتم : لنا خالق عليه  
 قلنا : صدقتم ، كذا نقول  
 زعمتموه بلا مكان  
 ولا زمان ، ألا فقولو  
 ماذا كلام له خبيء  
 معناه ليست لنا عقول ..

فكل ما أراده بها هو ألا ينفع الله مقاييس  
 الزمان والمكان والعيز والأين والكيف إلى ما هنالك  
 ( قاطيفورياس ) من المقولات الأرسطية العشر  
 التي تعين صفة الشيء وبالتالي Categories وجوده .. بل أراد له – كما أراد الدين – أن يكون  
 فوق الزمان والمكان وخارج كل امكان .. أزليا  
 أبداً لا بداية له ولا نهاية ( ١ ) .

أما انكاره لبعث الرسل والأنبياء والوحي  
 فتهمة لم تر لها ما يبررها سوى أنها حكم متسرع  
 على بعض أبيات للمعري يعذر فيها من الجدل في  
 بعث الأنبياء وارسال الرسل وتحكيم العقل في  
 القضية :

---

( ١ ) للتوسيع النظر : الفلسفة العربية في موضوعات موسعة من ١٩٩ .

قد طال في العيش تقييدي وارسالي  
 من اتقى الله فهو السالم السالى  
 وأقرب الأهل في عسر وفي يسر  
 واترك جدالك في بعث وارسال

والتحذير من الجدل في ذلك لا يعني الانكار ..  
 وانما هو – كما يقول طه حسين – « غير مطمئن  
 الى النبوات وهو محاط الى اعلان شكه فيها (١) » .  
 وفي الفصول والغايات يشنى أبو العلاء على النبي  
 محمد أكثر من عشرين مرة ويستشهد بأحاديثه  
 وكلماته ..

أما الطقوس الدينية والفرائض فقد يعمل بها  
 ويدعو إليها ما عدا العج .. وعلى كل حال فهو  
 معنى منها كلها لو أراد بموجب الشريعة الإسلامية  
 القائلة بصربيح الآية « ليس على الأعمى حرج ولا  
 على المريض حرج » .. وما دام أبو العلاء مؤمن  
 بالله ايمانا عقلانيا حرا فلنفتر له بعض خطأه  
 الذي حلل لنفسه فيه ما لا يجوز حين هجا الانبياء

---

(١) مع أبي العلاء في سجله طه حسين من ٤٠٠ دار المعارف بمصر  
 ١٩٦٤

وتمادي في ذلك ٠٠ ننفر له لقاء ايمانه بالله ٠٠  
ولعل هذا الذي صرخ به كان نتيجة سورة غاضبة  
وتشنج لم يدم طويلا :

ولا تحسب مقال الرسل حقا  
ولكن قول زور سطروه !!  
وكان الناس في عيش رغيد  
فجاؤه بالمعال فكدروه  
- أنيقو أفيقو يا غواة فانما  
دياناتكم مكر من القدماء  
أرادو بها جمع العظام فأدرکو  
وبادو فماتت سنة المؤماء !!

أي حطام هو هذا الذي جمعه الانبياء الزاهدون  
يا أبا العلاء ؟!! ٠٠ لاكنه هذيان الشاعر العائر  
في لحظة من لحظات ضيقه وتبصره برجال الدين  
الذين جعلوه يكفر حتى بالدين نفسه لكثره ما رأى  
وسمع من ظلمهم وكيدهم وابتزازهم وتزويرهم  
للحقائق ٠٠ هذا المروق والكفر الصرير لا يشكل  
موقعنا نهائيا بل هو حالة ٠٠ وبحالة وجدانية عابرة  
سرعان ما يعود عنها الشاعر الى دنيا التوبة

والاعتراف والرضى العقلي ٠٠ أو على الاقل الى دائرة الشك وتعليق الحكم ٠٠ فهل نحاسبه على الحالة أم على الموقف ؟ ترك الجواب للذين رموه بالكفر والزندة قدامي ومحدثين قبل أن ينظروا الى أنفسهم وحال دينهم ورجال دينهم ٠٠ ثم لعله قصد الأديان الوثنية ٠٠ من يدرى ؟

كان يصوم ويصلّى ويذكى ٠٠ ثم ألم تكن حياته كلها صوما (١) وصلة وذكارة وضراعات آناء الليل وأطراف النهار ؟! وأي مال فائض يذكى ٠٠ زكاته كانت مقاسمه خادمه نصف ايراده الذي لم يكن يتجاوز الثلاثين دينارا ٠٠ زكاته كانت عطاوه، وعطاؤه كان أدبه وعلمه وأبوته وعطفه على تلامذته ورواد مجلسه ودعوته العارة الى احترام انسانية الانسان المستضعف والحيوان المستهدف، حتى أديم الارض له من أبوته نصيب ٠٠

وما رأيك بانسان يصوم طول عمره عن الدنس  
والاثم ثم يرى في الموت عيد فطره ؟! ٠٠٠

---

(١) انا صائم طول الحياة وزادني فطري الطعام وعند ذاك اعيده ..

## العقل أمام الانسان والنفس الانسانية :

يرى أبو العلاء ان الانسان جزء من الله ونور من انواره ، فلا بد والحالة هاده أن يكون مثل هادا الانسان قديما خلقه . أقدم بكثير مما قالته الكتب وجاء به الرسل . والافلاك التي نسبوا اليها المعمول لم تكون أقدم من الانسان ؟

ومولد هادي الشمس أعياك حده  
وخبر لب انه متقادم

وما آدم في مذهب العقل واحدا  
ولكنه عند القياس أو Adam

دائما العقل والقياس هما اللذان يرشدان آبا العلاء الىحقيقة الاشياء لا المعرف أو الموروث من أقوال الفبر حتى ولو كان هادا الفبر نبيا مرسلا . . .  
وهو يلتقي مع الفلسفه في القول بقدم العالم :

خالق لا يشك فيه قديم  
وزمان على الأنعام متقادم

جائز أن يكون آدم هادا  
قبله آدم على اثر آدم

ولقد سما حتى على أفلاطون في مسألة التناصح  
حين اعتقد هاذا الفيلسوف هو والمتاثرون به ان  
النفس تنتقل من جسم الى جسم لتتطهر ٠٠ فعذر  
قائلا بشيء من السخرية الهدئة :

يقولون ان الجسم تنقل روحه  
الى غيره حتى يهذبها النقل

فلا تقبلن ما يخبرونك ضللة  
اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

وليس جسوم كالنخيل وان سما  
بها الفرع الا مثلما نبت البقل

او بشيء من الرثاء المر :

ضعكنا وكان الضحك منا سفامة  
وحق لسكان البسيطة أن يبكيو  
يعلمونا ريب الزمان كأننا  
زجاج ولكن لا يعادله سبك

كما يلتقي مع أكثر الفلسفه في انكار خلود  
النفس وبعث الاجساد ٠٠ في الواقع هو يلتقي مع  
عقله لا مع أي شيء آخر أو شخص آخر ٠٠ فيترجم

عنه سواء أرضى بذالك الفلسفة او الدين او  
أغضبهما ٠٠ لا فرق ٠٠

أترجوُن أن أعود اليكم  
لا ترجو فانني لا أعود  
ولجسمي الى التراب هبوط  
ولروحى الى الهواء صمود

الجسم يعود الى مادته ٠٠ الى التراب ٠٠ أما  
الروح فعنصر لطيف يتبدد بعد الموت في الهواء ٠٠  
هذا ما يقوله العقل :

أما اذا شاء الله - وهو على كل شيء قادر -  
أن يبعثها بعد الموت فله ذلك :

والله ينشر أرواحا بقدرته  
ويبعث فيها ارواحه النشر ٠٠

وتراه يلهم في اللزوميات بالنفس ، فتارة هي  
أرسططاليسيّة كما رأيت وتارة هي أفلاطونية  
سينوية كما سترى :

النفس عند فراقها جثمانها  
محزونة لدروس ربع عام

كعماة صيدت فثبتت جيدها  
أسفا لتنظر حال وكر دامر

وتقفز رأسا الى الذاكرة عينية ابن سينا ..  
ل لكن أبا العلاء لم يتعمق في حقيقة النفس عند ابن  
سينا .. وليس من شأنه هذا هنا .. ولا هناك ..  
لقد قال رأيه في الموضوع .. وهو هنا يتلهى ..  
يستعرض .. لا أكثر .. و اذا كان هذا يسمى  
تناقض فهو في العزائم وليس في اتجاهه العام ..



## العقل أمام الحياة العملية

المجتمع ، الأخلاق ، التعامل مع الناس ، كلها أمور بحاجة الى العقل . . الى استشارته دائمًا والعمل بوجهه . . وأبو العلاء يرى ان كل ما يجري بين الناس في مجتمعه قائم على الأنانية أو الظلم ، أو التسرع ، أو التعصب ، أو التقليد أو الاستغلال . . وهي آفات يعارضها العقل ويدعو الى التسلح ببنقيضها . .

وأبو العلاء رغم يأسه من صلاح مجتمعه لا يعلن افلامه في ذلك بل يعلن – في عزلته – ان العودة الى العقل ومشاورة العقل والعمل بنصيحة العقل يمكن ان يصلح من حال الناس وتقويم اعوجاجهم وانعراضهم . . وهاده ناحية ايجابية في فلسفة أبي

العلاء التي طالما نعتت بأنها فلسفة هداة يائسة  
من كل صلاح واصلاح لا يمان صاحبها بغيريزة الشر  
المطبوعة في الانسان منذ كان ..

الغير موجود يدركه الانسان بمجردة التفكير  
به .. العقل يشير اليه .. بل هو يشير الى نفسه :

من أراد الخير فليعمل له  
فعليه لذوي اللب علم

و اذا مارست فعل الخير للغير لا للثواب تصبيع  
مثلا وقدوة فينتشر بين الناس :

والغير يعدي كفادي مزنة هطلت  
أرضا فلما رأها رائحة هطلا

فلو عقل الناس ما تمايزوا ولا تنابذوا بالألقاب  
ولما استغل بعضهم بعضا ولما كان بينهم غني على  
حساب فقير :

يا قوت ، ما أنت ياقوت ولا ذهب  
فكيف تتعجز أقواما مساكينا  
وأحسب الناس لو أعطوا زكاتهم  
لما رأيت بنى الاعدام شاكينا

وفي أعلى مراتب الصحو العقلية والتألق  
الوجданى ينهر الفكر العلائى بأحدث الآراء  
الاشتراكية ولو بقالب عاطفى غير مقون :

لو كان لي أو لغيري قيد أنملا  
من البساطة خلت الأمر مشتركا

والامام علي ليس في الاعتبار الانساني أفضل  
من خادمه قنبر ولا العربيي أفضل من البربرى ..  
دعوة الى المساواة معروفة قالت بها الأديان ونادى  
بها الاسلام لاكتنها من فم أبي العلاء ومن عقله  
ووجدانه ذات مذاق خاص ووقع مميز ..

لا يغرن الهاشمى  
على امرئ من آل برب

فالعق يعلف ما على  
عنه الا كقنبر

- وما نات القرابة عن رجال  
أبوهم يافت وأبوك سام

ويطرح عقله قضية المواريث والانصبة فيراما  
في معظم الشرائع جائزة غير منصفة .. وتعتلج في

أعمقه مشاعر البناء الصافية وتتراءى له دائمًا  
أمومة أصفي وأكثر حناناً فيهتف منتقداً تقسيم  
المواريث والسلهم الذي تصيبه الأم من ارث ابنتها  
وهو السادس أو ( ٤٠٠ سهم ) فقط من ٢٤٠٠  
بينما البنت لها النصف والزوجة الربع !

والأم بالسادس عادت وهي أراف من  
بنت لها النصف أو عرس لها الربع !

الى آخر هذه العمليات الشعواء والانتقادات الهدافة  
التي أقضت مضجع أبي العلاء على خشونته ولم  
يسكت عن الزييف والدجل والظلم طيلة حياته مع  
أنه يمنى عن موقعه وعن أذى أصحابه . . . لاكتها  
عاطفة الأبوة والحب العميق الذي يحمله  
للمستضعفين في الأرض فلو كان متشائماً يائساً من  
صلاح الناس - كما زعم أكثر مؤرخيه - لما رأينا  
في تضاعيف كل قصيدة وفي خبايا كل خفقة من  
خفقات وجدانه تلك اللهفة العارمة تتغاظم كلما  
ظهر له باطل أو حدثوه عن ظالم . . . وحين دعا  
الرجال الى عدم الزواج بل الى الغصي كيلا ينجبوا ،  
والناس جمِيعاً الى الموت . . . واختصار العيادة وفضل  
النُّفُر على البقاء . . . لم يفعل ذلك ونُم يدع اليه

عن تشاوُم أصيل فيه رغم بُلائه العظيم ، وظلام  
حياته المستمر وحندس ليله المقيم، بل فعل ذلك بعد  
أن بع صوته وطال عذابه مع من لا يفهمون أنفسهم  
ولا يقدرون قيمة انسانيتهم وكرامتهم ولا يثورون  
على واقعهم في مجتمع جعل منهم وقودا لمطامع  
حكامه وأضاحي لشهواتهم ٠٠ فغير مثل هاذا الانسان  
أن يموت دفعة واحدة من أن يموت كل يوم ٠٠ وقد  
رأينا في فصول سابقة كم كان أبو العلاء معبا  
للحياة والأحياء ، مقبلا على الدنيا في مطلع شبابه  
وبده رحلاته رغم عماه ٠٠ يوم كان يقول منشدا  
آماله وأمانيه :

سقيا لأيام الشباب  
وما حسرت مطيتيا  
أيام أمل أن أمس  
الفرقدين برا حتىما

ل لكن الدنيا لم تقبل عليه بل كالت له الصفة  
تلوا الصفة ، ورغم هاذا ظل يغازلها وينخطب ودها  
عله يصلح من شأنها وعله يبلغ فيها ومنها ما يزيد  
من شهرة وسعادة ومجده وأولاده ٠٠ وحين اعتزلها لم  
يلق سلاحه نهائيا بل ظل موصول القلب والمعاطفة

بالناس .. بالمساكين من الناس .. بالطيبين منهم ..  
.. بطلاب المعرفة .. بالمحبين الذين لا تزال في  
عقولهم وقلوبهم بقية فضل وكرامة وحب ..

كلا ! لم يتشاءم أبو العلاء أصلاً ومزاجاً ..  
أقولها تكراراً .. بل « قرفاً » ومقتاً لانسان تاه  
عن حقيقته .. ومجتمع راج فيه كل شيء الا  
العقل والقلب والضمير .. وأديان شوهرت حقائقها  
وغاياتها وقلبت مقاييسها وأصبحت أشباه بالمتاجر  
منها بالمنابر ..

### هذا هو أبو العلاء :

فقد آن لنا أن ننظر إليه بالمنظار العلمي الجديد .. وبالعقل المعرفي المجرد .. لا أن نجري سع  
الفكر السلفي والمفكرين التقليديين الذين رأوا في  
هذا المفكر العر عالة على الدنيا والدين وعبثًا  
ثقيلاً على الإنسانية، يدعون إلى الغلاص منها بالغصي  
وقطع النسل والموت .. وهم لو عقلوا مثله وتجروا  
لقالو قوله وأمنوا بما آمن وشكوا بما شك .. ولكن  
مصيبة أبي العلاء معنا أنه يجرؤ حين نجبن ويعبر  
حين نعجز عن الكلام ويصرح بما يضر ونعن

ولو أنسفو وتجربو لرأو فيه مفكرا عقلانيا  
معرفيها كبيرة وانقلابيا خطيرا واصلاحيها ثوريها  
وساخرا حرا يفضح الزيف ويكشف المزيفين ويعرى  
حقائق الكون والحياة والآحياء .. فاذا بها أمامك  
غير ما لقنتها واذا بها غير ما قدستها ..

وخير ما أختم به هاذه الدراسة المتواضعة لفker  
أبى العلاء وحقيقة قوله للباحث المعروف نجيب مخول  
يقيم به عقلانية أبى العلاء: « لا شك ان المعرى شاعر  
مفker . لاكته في نظر الفلسفة أكثر من شاعر  
ومفker : انه رمز العتل البشري العائر الوثاب في  
آن واحد ، غير المحدود في عظمه ، وغير المحدود في  
صغره على ما قال باسكال عن الانسان صاحب هاذا  
العقل .. فوق ذلك كله لأبى العلاء منزلة خاصة  
بين نوابع الشرق : هاذه البلاد كانت أقرب من  
غيرها الى السماء : عن طريق السماء أتى أكثر  
ساستها ، عن طريق السماء برب أكثر علمائها ،  
عن طريق السماء فكر أكثر فلاسفتها .. أما المعرى  
فكان فيها رسول العقل ونبيه ، وبالعقل شقى  
فأصبح ضحية من ضحاياه .. » الى أن يقول :  
« لو قيض للتفكير الشرقي أن يتطور تطورا طبيعيا

بعد أبي العلاء لرأينا العقل يعمل عمله عندنا ،  
في العلم والفلسفة ، ولما كنا في مؤخرة الركب  
الانسانى .. أما روحانيتنا فلا خوف عليها لأن  
جذورها آخذة في أعماقنا ، أكبر دليل على ذلك  
أبو العلاء نفسه ، فهو مع عقلانيته الشامخة  
المتمردة ، ومع كل ثورته المعمومة على التقاليد ظل  
مؤمنا بـ<sup>إله</sup> خالق اتقاه وخشع له والتمس عفوه » .

الى طلاب البكالوريا اللبنانيـة - القسم  
الثاني - فرع الفلسفة

أعرف مثلكم أيها الأعزاء ان المعربي ، وان كان  
مفروضا في منهجكم الرسمي اللبناني ، الا انه  
نادر ما جاء في الامتحانات الرسمية . حتى اذا جاء  
أعرضتم عنه الى غيره : كالفارابي وابن سينا  
والغزالى وابن رشد وابن خلدون .

مع انه في نظري أمنع وأخف ظلا وأقرب الى  
النفوس . . . والكتابة في آرائه وفلسفته أسهل  
وأتجع . . .

مسكين أبو العلاء : لقد ظلمه عصره لأنه لم  
يفهمه . . . فأعرض عنه . . . وظلمناه نحن لأننا

فهمناه ٠٠ خطأ ٠٠ في أكثر الأحيان ٠٠ فأعرضنا عنه ٠٠ وهاده الدراسة دعوة متواضعة الى فهم أبي العلاء فهمها حديثا ، ومحاولة لرفع الغبن عنه والأذى اذ يكفيه ما لاقى ، وما يلاقى ٠٠ سيظهر لكم انه كان معبا لا حاقدا ٠٠ ومتفائلا ٠٠ لا متشائما ٠٠ معبا للمستضعفين - أمثالنا - لا للطفاة ٠٠ معبا للعقل والعقلاء - مثلنا - لا لمشوهي العقل والعقلاء ٠٠ ومزوري القيم والقوانين والشرائع ٠٠ والمتاجرين بالله ! ٠٠ اقرأوه - اذن - لا لكتابو عنه في امتعاناتكم ٠٠ مخافة ان يصييكم بعض فشله وسوء حظه ٠٠ بل لتدافعو عنه في نواديكم ومعاضراتكم ، ولتباهلو به امام بيرون ولوكريس وأبيقور وفاليري وشو ٠٠ وحتى ديكارت ٠٠

ومن أراد منكم نموذجا للبحث في آراء أبي العلاء وموافقه وأسئلته دورات تختص به فاليلكم هي :

## ١ - موضوع نموذجي مفصل :

قال المعرى :

أيها الغر ان خصصت بعقل  
فاسأله فكل عقل نبى

- ١ - اشرح هذا البيت وبين رأى المعرى في العقل ،  
وقيمة المعرفة المقلالية ( ٦ علامات ) ٠
- ب - ما صلة العقل بالدين عند المعرى ٠ ابن ذالك  
في نموذج من الشواهد ٠
- ج - هل كان لأبي العلاء رأى ثابت في مسألة  
المصير ٠
- د - أذكر الدوافع والأسباب التي قادت المعرى الى

## الأفكار الرئيسية

### أ - شرح البيت :

أيها الفتى المفرور بأشياء الشباب من مجد وثروة وصحة وعقيدة ٠٠ ما قيمة كل ذلك اذا كان العقل الذي خصل به الله دون سائر المغلوقات، لا تعمل به ولا تهتم بهديه ٠٠ ما قيمة ارثك وتراثك ودينك اذا تقبلت كل هاذا بالتقليد والتبعية ، دون أن تستشير يوما عقلك اذا كان كل ما أعطيته صحيحا ٠ وكل ما تؤمن به حرريا بالإيمان أو الثقة أو التقديس ٠

ان الحقيقة – أيها الفتى – لا يمكن أن تعتبرها حقيقة ساطعة قاطعة الا اذا جاءتنا عن العقل : هاذا النبي الاول – في نظر أبي العلاء – الذي عن طريقه يعرف النبي الثاني – او الرسول – وفهم رسالته ٠٠

في جميع الأديان دعوة صريحة الى تقدس العقل

البشري والرجوع اليه - وواضح ان المعرى يقصد  
العقل المثقف المتحرر - حتى الايمان الديني اذا لم  
يكن ايمانا عقليا ، فلا قيمة له ولا فائدة . وطالما  
سبب الايمان الموروث شكا وأزمات نفسية لدى  
كبار علماء الدين أنفسهم . وخير دليل على ذلك  
الفرالي .

ثم ان العقل هو الطاقة الوحيدة التي تحمل من مشكاة الالوهية الشيء الكثير وقد خصمت بها وحدك أيها الانسان فاستشرها في كل شيء وفي كل حين . فهي النبي قبل اينبي :

فشاور العقل واترك غيره هدرا  
فالعقل خير مشير ضمه النادي

والطاعة المطلقة لا تجوز الا لله . والعقل نور الله  
في الانسان : يكشف العمى ، ويجلب الرحمة  
والهدى :

فإذا ما أطعنته جلب الرحمة عند المسير والارساد  
وهاكذا نجد ان المعرفة النقلية لا قيمة لها على  
الاطلاق اذا لم تؤيدها او تحل محلها المعرفة

المقلية ، فهي المعرفة اليقينية لا سواها ٠ ودع  
عنك ما يؤمن به أصحاب العدوس والاشراق ٠٠  
بــ ما صلة العقل بالدين عند المعربي ٠ ابن  
ذالك في نموذج من الشواهد ٠

مصيبة المعربي ـ أو فضيلته ـ لا أدري ، انه  
لا ينظر الى الدين الا بمنظار العقل المغزون بالف  
سؤال وألف شك لا سيما وهو يرى الى الدين وقد  
أصبح العوبة بآيدي تجار الدين ومزوريه ٠٠ وحتى  
الدين يرى فيه أباطيل وأساطير لا ينكرها الكثيرون  
بل يؤمنون بها ٠٠ فكيف لا يكفر المعربي بالدين ٠٠  
بل بالأديان جمیعا ؟ وهو يرى التجسيد يصبح  
عقيدة والتقليد يمسی میزاننا للمعرفة ، والتشبيه  
ينقلب ایمانا ، والتنجیم والسحر والشعوذة يعمل  
بها وکأنها تنزیل من التنزیل ؟ ! كيف لا يطلق  
صیحته العاسمة قائلًا :

اثنان أهل الارض ذو عقل بلا  
دين وآخر دین لا عقل له  
مصيبته ان عقله تمادی فکفر ٠٠ وان رجل  
الدين تمادی في جهله فهجر ٠٠  
رجل الدين تمادی في جهله فهجر ٠٠  
اما الله فشيء آخر : يؤمن به أبو العلاء لأن

العقل يشير اليه بدللين على الاقل هما : دليل  
العلة والمعلول ، ودليل العناية الالهية ( للتوسيع  
انظر صفة ١٤٥ و ١٤٦ ) .

مولاك مولاك الذي ما له  
ند و خاب الكافر البائد

فلك يس دور بحكمة  
وله بلا ريب مدبر ..

فالهلال المنيف والبدر والفرقان والصريح والثري والماء  
هاده كلها لربك ما عابك في قول ذالك الحكماء

كل هاده العناصر والأجرام والكواكب دليل  
على وجود ربك .. بهادا قالت الفلسفة وبهادا  
يشير العقل فلا تخشى بعد ذلك أن يعيبك أحد ..

ويلتفت أبو العلاء الى الفرق الدينية الاسلامية  
فيり خلافا يبلغ حد العنف والاقتتال ، ولا يرى  
حوارا ، ولا معبة ، ولا طلبا للحقيقة الدينية  
لذاتها .. فهادا معتزلي ، وذاك أشعري ، وذاك  
مرجعى ، وذياك حشوي أو تشبيهي ، أو علوى ،  
أو فاطمي ، أو قرمطي الى آخر السلسلة غير الذهبية ..  
والحاكم فوق كل هؤلاء مستغل مبتز لا هم له

كما يلتفت الى الاديان الاخرى فيرى الشيء نفسه  
والقتال نفسه والتهافت نفسه :

يا ليت شعري ما الصريح ! كل يمجد دينه

والجواب المؤلم الذي يفرض نفسه على أبي العلاء : لا صريح !! الا ما أثبته العقل ودل عليه البرهان ٠٠ وهو قليل ٠٠

ج - هل كانه لأبي العلاء رأي ثابت في مسألة المصير ؟

من خصائص الفكر العلائي انه فكر تساوٍ لي تأمل حائر ٠٠ وبهذا امتيازه على سائر الافكار التسليمية في عصره ٠٠ انه فكر مستقبلي - اذا صح التعبير - وبالتالي حضاري ، حين لا يكتفي بتقبيل وجود مفروض من الغير : سواء كان هذا الغير الله او الطبيعة او الانسان ٠٠ بل يحاول ان يكون وجودا خاصا به : وجودا حرا مثاليا يحمل به ويتعلل اليه ٠٠ لكن الوجود المفروض يضفط عليه ويشهده الى الواقع المرفوض ٠٠

وبين فكي الفرض والرفض بين القبول والشك  
يعتصر عقل الانسان وقلبه وتبرز مأساة الرافضين  
ويمقدار ما يكثر الرفض والتساؤل والشك  
تحقق الانسانية مصيرًا افضل على هاذة الارض  
ومجتمعاً امثل ..

ومأساة أبي العلاء انه كان رافضاً لمصيرين لا  
مصير واحد : الاول مصير الانسان على الارض وقد  
وجد له حلاً بالعزلة ورفض القيم السائدة ..

ل لكن المصير الثاني وهو الاكثر هولاً والأعمق  
ماساوية : مصير الانسان بعد الموت ، هو الذي  
حاول عقل المعرى أن يحله بعد أن لاب حوله كثيراً  
وتساءل كثيراً غير أنه تحطم على أبوابه الموصدة  
وراح ينشد بل ينشج أروع أشعاره وأعمق أفكاره  
.. ويشركتنا معه أشد المشاركة لأنه غنى لنا أعمق  
مشاعرنا ورثا لنا حتمية النهاية المفجعة للانسانية  
المعدبة : نأتى إلى الحياة مكرهين ونعيها حائزين  
مروعين .. ثم نفادرها مرغمين .. نعلم قبل  
الوداع بجمهورية عاقلة أو مدينة فاضلة أو  
الاهية (١) ، أيام التداعي والانهيار ، فيبقى الواقع

---

(١) اشارة الى كتاب « مدينة الله » التي هدم بها القدس  
اوغسطين ..

واما والعلم حلما ٠٠ وعزاء العالمين انهم يهددون  
الفاجعة ولو الى حين ٠٠ وينيون شمعة صغيرة في  
حندس الليل الطويل ٠٠

والمعري من هؤلاء العالمين الواقفين أمام الباب  
المرصود يدقونه بعنف ولهفة ولا جواب ٠٠

الليست مأساتنا - والحالة هاذة - مثلثة الابعاد  
كثيفة الظلال باعثة على الرثاء والبكاء اذا صادفت  
فكرة حائرا لا يطمئنه دين ولا يقين، وقلبا ثائرا  
لا يخفف اشجانه وآلامه اي امل ٠٠ او بأرقه حل ٠

فكيف لا يبكي المعري ولا يرثي المصيرين وهو  
حامل هم العصر والانسان والمصير؟!

تواجده - وهو المؤمن بالله - مسألة خلود  
النفس وحشر الاجساد فيعرضها على عقله  
فيرفضها وعلى ايمانه فيقبلها وها هو يقبلها مترددا  
في حوارية عابثة :

زعم المنجم والطبيب كلاما  
لا ت عشر الاجساد قلت : اليكما :

ان صح قولكما فلست بخاسر  
او صح قوله فالوبال عليكما ٠٠

انه موقف يتراجع (١) بين العقل والايام ،  
بين العلم والدين .. يعرضه المعربي بأسلوبه  
الساخر العايث ، لعله يرضي الطرفين .. وقد  
فعل .. وحين يطغى العقل على كل شيء يرفضها  
وينكرها في رثائية كثيبة :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة  
وحق لأبناء البسيطة أن يبكون  
تعطمنا الأيام حتى كأننا  
زجاج ولكن لا يعادله سبك ..

ويا لها من مهزلة تلك التي ما نكاد نضحك لها  
حتى نبكي منها ! .. كلنا صائر الى فناء .. وليس  
من هاذا الفناء مخرج .. وبعد الفناء .. فناء  
ولا قيامة .. ولا سبك للزجاجة بعد كسرها ..

انه حكم للعقل قاس مجرد من كل ايمان او  
امكان .. او لطف اللامي .. غالى به المعربي وتمادى  
كأبيقور في سالف الزمان (٢) .. فالى أين تذهب

---

(١) لا يقل نارهنج بل تراجع ( النظر لسان العرب مادة رجع ) .

(٢) انظر كتاب : مع أبي العلاء في سجنه طه حسين من ١٧١ وما  
بعدها - دار المعرفة ١٩٦٤ .

الروح بعد فناء الجسد ؟ الجواب : الى المجهول !!

الروح تتأى ، فلا يدرى بموضعها  
وفي التراب، لعمري، يرفت الجسد

لakan الله قادر على اعادة الاجسام وBeth العيادة  
فيها من جديد :

.....

ان قال ربى لأجسام البلى : عودي  
فذاك وعده وعهده و :  
« حاشا لربك من اخلاق موعده » ..  
 فهو يترك مسألة العشر لله الذي يؤمن به ويقر :

أقر بأن لي ربا قديرا  
ولا أقسى بدائمه بعهد

اما اذا عرضها مباشرة على عقله فالموقف  
يختلف تماما ..

تشاؤمه ! :

اما تشاؤم أبي العلاء فلنا فيه رأى خاص قد  
يكون خاطئا : وهو ان التشاؤم مزاج سوداوي ينشأ  
معه الاتسان منذ الصغر وينمو مع الايام فيصبح

قاتلا .. لاكن أبو الملاع لم ينشأ على مثل هذا المزاج - رغم عماه - بل انتا نفهم من سيرته وحقيقة نفسيته انه كان مقبلا على الدنيا توافقا الى اللهو واللذة توقعه الى المعرفة والشهرة .. وما ذهابه الى بغداد - في شبابه - وتطوافه في العواضر السورية والعراقية ومراکز العلم الا طلبا للكل ذلك .. لكن المجتمع بأوضاعه السائدة والفاشدة يومذاك غيرت حاله من اقبال الى ادباء .. ومن رضا وقبول الى رفض وشك ونقاوة .. على أن روح المرح والدعابة لم تفارقه حتى في أسوأ حالاته .. بل تحولت الدعابة الى سخرية ونقد مريرين .. والمرح الى جدية وانكماش صارمين .. وانقلب أبو الملاع معها الى رافض عنيد لا سيما حين اعتزل لائذا بعقله وبعقله وحده .. وراح يطل على الناس ناعيا عليهم وجودهم وقيمهم وعوائدهم .. مقتراحا له ولهم حلا وحيدا هو : الموت بشتى صوره ..

فكيف أقبل عليهم .. ثم كيف ادبر ؟ ومن السبب ؟

لم يكن هو السبب : بل كانوا هم السبب في

الحالتين .. اذن : لم يكن أبو العلاء متشائما على  
الاطلاق .. كان انسانا مفجوعا بأماله حالما بسعادة  
دنيوية تعرض عليه بعض ما فقده ، لاكتها كانت  
سرابا .. فحين ينعي انسان عقلاني على الناس  
فساد عنصرهم وتعاسدهم وتكلبهم وظلم بعضهم  
لبعض وتماديهم في كل ذلك .. لا يكون هاذا  
الانسان - في نظري - متشائما أبدا ولا يائسا ..  
بل انسانا مشفقا على أخيه الانسان صارخا في وجه  
الطفاة ان توقفوا .. وفي وجه النيام ان استيقظوا  
.. وحين لا يجد آذانا صاغية بل امعانا في الظلم  
والنوم والاستسلام .. ماذا ت يريد من شاعر متأمل  
صادق حساس أن يفعل تجاه ذالك ؟ هل يخدرنا  
بمعسول الآمال الكاذبة القائلة بأن الانسان لا بد له  
من فجر بعد ليله الطويل - كما فعل ويفعل  
شعراؤنا - أم يواجهنا بالحقائق المرة ؟ ويصفونا  
بواقعنا صفعا .. حين يجرده ويعريه ؟!

ومتى كان قول الحقائق ولو جارحا صادرا عن  
متشائما ؟ !

لست افهم لماذا نعtooه بالمتشائم ونسبو تشاوئه  
الي عماه ومزاجه وفهمه السلبي للقيم والمجتمع ..

كان المجتمع والقيم يجب أن تفهم دائمًا فيما  
أيجابياً وتقبل على علالتها والا فمتنقدها ومحطمهها  
ورفضها انسان متشاؤم .. ونحمد الله على أن  
الشيوخية لم تكن معروفة في أيام أبي العلاء والا  
لنت بها حين تصدى للنظام والحكام ورجال الدين  
.. على أن فيلسوفنا لم يسلم من تهم مشابهة  
الكفر واللحاد والزندقة والمرور والعقوق إلى  
آخر هذه السلسلة غير الذهبية من التهم الباطلة  
التي يواجه بها كل مثقف صادق ملتزم حر في كل  
زمان ومكان حفاظاً على الفساد وأهله ..

وإذا كان أبو العلاء قد غالى في هجومه وتمادي  
في سوء ظنه بالحياة وبالأحياء فليس ذلك منه  
تشاؤماً ولا يأساً .. وإنما كان قوله حق ولو مرة  
.. وضربة حر ولو قاتلة .. ولو كان من بعده  
الطوفان .. فالاحرار امام الحق اما قاتلون او  
شهداء .. ولا وسط !!!

لم يكن متوقراً من مثله أن يضحك حيث يجب  
البكاء .. وأن يهادن حيث يجب العرب .. وأن  
يصمت حيث يجب الكلام .. وأن يطلب الحياة  
حيث يجب أن يطلب الموت .. بل أن يصدق مع نفسه

وربه .. حيث كذب الدعاة ونافق المتجرون ..  
فغير للبشرية الا تكون على أن تكون كما وجدتها ..

ونحن نلاحظ ان أبا العلاء رغم كل هذا البلاء  
والفساد في الانسان والمجتمع ظل على حبه  
للمستضعفين في الارض حتى العيون لم يشا أن  
يؤذيه بذبشه وأكل لعنه .. أما المجتمع فلا شك  
في أنه كان يعلم - لا سيما في شبابه - بمجتمع مثالى  
عقلاني تسود فيه المعنة والحكمة والعقل والعدل  
والمساواة .. « فاذا به يتبين الواقع الفاجع حيث  
لا أثر لما أراده وتنمراه (١) » ..

وهاكذا نبعد ان المعري لم يكن متشائما بالمعنى  
الفلسفي للكلمة بل كان انسانا عقلانيا مفجوعا  
بآماله وطموحاته ، أصابه نوع من « القرف » بلغ  
به حد الفتيان من تفاهات وأباطيل لم يملك الا ان  
يتصدق عليها .. دما من قلبه ووجدانه وبيانه ..

فماش في قلوب الأجيال المتطلعة الى غد أفضل ..  
وخلد كما يخلد الحق والفن والحرية ..

---

(١) انظر : دائرة المعارف ده، جبور عبد النور ج ٤ من ٤٦٣

## ٢ - أسئلة القيت في دورات مختلفة :

### في امتحانات البكالوريا اللبنانية - فرع الفلسفة -

١ - قال أبو العلاء :

ان مازلت الناس أخلاق يقاس بها  
فانهم عند سوء الطبيع أسواء  
فما معنى هذا القول وكيف علل صاحبه . وهل  
تراء مصيبا في نظرته الى أبناء المجتمع ؟  
(دورة ١٩٥٩ الأولى)

٢ - قال أبو العلاء :

اثنان أهل الارض ذو عقل بلا  
دين وآخر دين لا عقل له  
وقال :  
اذا رجع العصييف الى حجاه  
تهاون بالشرائع واذراما ..

اشرح قوله مشيرا الى ما يذكرك من آرائه في  
الأديان ، والعوامل التي أذكت ثورته عليها ،  
وناقشه في جوهر فكرته مستندا الى البرهان  
والواقع .

( دوره ١٩٦١ الأولى )

٣ - جاء في قول لأبي العلاء المعري :

يقولون ان الجسم تنقل روحه  
الى غيره حتى يهذبها النقل  
فلا تقبلن ما يغبرونك ضلة  
اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل  
وضح المعاني التي أشار اليها المعري في هاذين  
البيتين وبين :

- رأيه في الديانات والشرائع .  
- موقفه من العقل .  
وأيد ما تذكره باشارات واضحة الى أقواله .

( دوره ١٩٦٢ الثانية )

٤ - يقول طه حسين في « تجديد ذكرى أبي  
العلاء » : « الواقع ان أبي العلاء لم يتخد لنظره  
الفلسفي مذهب أهل السنة، ولا مذهب السوفسطائية

وأصحاب الشك ، ولا مذهب المعتزلة أيضا ٠٠٠  
وإذا ، فهو يرى رأي الفلسفة النظريين ، من  
اليونان وال المسلمين ، في الاعتماد على العقل  
خاصة ٠

١ - **فما معنى هذا القول؟**

ب - وهل في اللزوميات ما يثبته أو ينفيه ؟ أوضح ذلك .

ج - بين كيف يتقرر موقف المعرى من قضايا  
الذين على ضوء موقفه من العقل .

د - هل تعباري حكيم المرة في قوله :  
اثنان أهل الارض ذو عقل بلا

## دین و آخر دین لا عقل له؟

أيد رأيك بأمثلة من الواقع .

( دورة ١٩٧٣ )

٥ - قال المعرى :

أيها الفر ان خصمت بعقل

فاسالنه ، فکل عقل نبی (۱)

(دوره ۱۹۷۴ الثانیة)

(١) نجد تفصيل ذلك في موضع نموذجي مبسط ( . نظر المصفحة ١٦٧ من هنا الكتاب ) .

لقاء ابن القارح بالأعشى في الجنة :

« فيهتف هاتف : « أتشعر أيها العبد ، المنفور  
له ، ملئ هاذا الشعر » ؟ فيقول الشيخ : « نعم !  
حدثنا أهل ثقتنا ، عن أهل ثقتهم ، ان هاذا الشعر  
ليمون بن قيس بن جندل » ، فيقول الهاتف :  
« انا ذالك الرجل ! مَنْ أَلْهَى عَلَيَّ بَعْدَ مَا صَرَّتْ مِنْ  
جَهَنَّمْ عَلَى شَفِيرٍ ، وَيَئْسَتْ مِنْ الْمَفْرَةِ » ٠

فيلتفت اليه الشيخ هاشا باشا مرتاحا ٠ فإذا  
هو بشاب غرانت (١) وقد صار عشاه حورا ،  
وانحناء ظهره قواما ٠ فيقول : « سحبتنى  
الزبانية (٢) الى سقر (٣) ، فرأيت رجلا في

(١) جميل ٠

(٢) الموكلون بتعذيب الماكلين ٠

(٣) من اسماء جهنم ٠

عرصات (١) القيامة يتلاؤ وجهه تتلاؤ القمر ،  
والناس يهتفون به من كل أوب (٢) : « يا محمد !  
يا محمد ! الشفاعة ! نمت بكذا ! ونمت بكذا (٣) »  
فصرخت في أيدي الزبانية : يا محمد أغثني ، فان  
لبي بك حرمة ! فقال : « يا علي ! بادره فانظر ما  
حرمتة » . فجاءني علي بن أبي طالب ، صلوات  
الله عليه ، وأنا أعتل (٤) كي ألقى في الدرك  
الأسفل من النار . فزجرهم عنى ، وقال : « ما  
حرمتك ؟ فقلت : أنا القائل :

الا أبهذا السائلني : أين يممت ؟  
فان لها ، في أهل يشرب موعدا !  
فاليلت لا أرثي لها من كلالة  
ولا من حفى حتى تلقي محمدا !

وقد كنت أؤمن بالله وبالحساب ، وأصدق  
بالبعث ، وأنا في الجاهلية الجهلاء . فذهب علي  
إلى النبي (صلعم) فقال : « يا رسول الله ، هاذا

(١) ساعات .

(٢) من كل جهة .

(٣) لتصل بك بقرابة كلنا .

(٤) اهمل .

أعشى قيس قد روى مدحه فيك ، وشهد أنكنبي  
مرسل » . فقال : « هلا جاء في الدار السابقة ! »  
قال علي ، رضوان الله عليه : « قد جاء ، ولكن  
صحته قريش وحبه للخمر » . فشفع لي ، فأدخلت  
الجنة على أن لا أشرب فيها خمرا . فقررت عيناي  
بذلك . وان لي منادح (١) في العسل وماء  
الحيوان (٢) وكذلك من لم يتبع عن الخمر في  
الدار الساخرة ، لم يسقها في الآخرة . . . . .  
وصف الجنة :

« وفي تلك الانهار . أوان على هيئة الطير  
السابعة ، والغانية عن الماء السائعة . فمنها ما هو  
على صورة الكراكي (٣) وأخر تشاكل المكاكي (٤)  
وعلى خلق طواويس وبط ، فبعض في العارية  
وبعض في الشط ، ينبع من أفواها شراب ، كأنه ،  
من الرقة ، سراب ، لو جرع منه جرعة العكمي (٥)

(١) جمع مندوحة : غنية : لا مندوحة لي عندك : لا غنى لي عندك .  
(٢) ماء الحيوان : ماء الحياة .

(٣) جمع الكركي : طائر كبير اغبر اللون طوبل العنق والرجلين ،  
ابتز الذنب ، قليل اللحم ، يأوي الى اماء اهيانا .

(٤) المكاكي : جمع المكاء : طائر من القنابر كثير الخفوق بجناحيه وله  
صغير حسن ( من يمكنه يصفر ) .

(٥) ابو نواس .

لحكم بأنه الفوز ، وشهد له كل وصف للخمر ،  
من محدث وعتيق ٠٠٠ ٠

ويعارض تلك المدامة أنهار من عسل مصفى ما  
كسبته النحل الغاية الى الانوار ٠٠٠ ولكن قال له  
العزيز القادر : « كن ! » فكان ٠ وأها لذاك  
عسلا ! لو جعله الشارب المعروف غذاء طول  
الأبد ، ما قدر له عارض موم (١) ولا لبس ثوب  
المحموم ٠ وذاك كله بدليل الآية : « مثل الجنة  
التي وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن ،  
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمرة  
لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها  
من كل الثمرات (٢) ٠٠٠ » فليت شعري عن التمر  
ابن تولب المكلي هل يقدر له أن يذوق ذلك  
الأري ، فيعلم أن شهد الغانية ، اذا قيس اليه ،  
وجد يشاكه الشري (٣) ٠٠٠ ٠

---

(١) مرض البرسام : مرض يصيب الحجاب بين القلب والكبد فيلتهب ،

(٢) القرآن الكريم سورة محمد الآية ١٦ و ١٧ ٠

(٣) يشابة العنطل ٠

... يعلق استاذنا الدكتور فؤاد الغرام البستاني على هذه  
الوصفات المادية للجنة في رسالة الفرقان قائلاً : « فاصبح من  
يطالع الكتاب ، لا ول وجهة ، يرى امامه عمل مسلم مؤمن بكل ما  
يرى عن الجنة ، مجتهد في تفسير الآيات القرآنية الواردة  
بشانها ، ولذلك ، اذا قرأه بتسيء من المخز والانتباه ، لا يتمالك -

## منزل العطية في أقصى الجنة !

« فيذهب ، فإذا هو بيت في أقصى الجنة ، كانه حفص (١) أمة راعية ، وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنه شجرة قميضة (٢) ، ثمرها ليس بزاك ، فيقول : « يا عبد الله ! لقد رضيت بعقار ! فيقول : « والله ! ما وصلت اليه الا بعد هياط وبياط (٣) وعرق من شقاء ، وشفاعة من قريش وددت أنها لم تكن ! فيقول : « من أنت ؟ » فيقول : « أنا العطية العبيسي ! » فيقول : « بم وصلت إلى الشفاعة ؟ » فيقول : « بالصدق ! » فيقول : « في أي شيء ؟ » فيقول : « في قولتي :

أبْت شفتاي الْيَوْم الْأَتَكْلَمَ  
بِهِجْرٍ ، فَلَا أَدْرِي لَمْ أَنَا قَائِلٌ !

---

من الحكم على بيت المؤلف بما يستخل تلك الآيات في سبيله .  
فيري ان ابا العلاء يقيم من الله ، سبحانه وتعالى ، شرطيا قديرا على كل شيء ، ساهرا على راحة مختاريه ، لا عمل له ولا هم الا ارضاء شهوات المخلدين في تلك الجنة المادية .. هاذا العيت بالقدس ما يجل الانسان ، وهذا التهكم بالفضل ما يرجوه ، هو المسرف بعينه ، وهو اهم عناصر ما ندعوه « بالروح العلائى » ١

(١) المفشن البيت الصغير الحقير : الكوخ

(٢) صنفية .

(٣) مجيء وذهاب واضطراب شديد .

أرى لي وجهًا شوئه الله خلقه  
فقبع من وجه ! وقبع حامله !

فِيَقُولُ : « مَا بَالْ قَوْلَكَ :

من يفعل الغير لا يعدم جوازيه  
لا يذهب (1)العرف بين الله والناس!

لم يففر لك به ؟ فيقول : « سبقني الى معناه  
الصالحون . ونظمته ولم أعمل به ۰ ۰ ۰ فعمرت  
الأجر عليه » . ۰ ۰ ۰

## نماذج من شعره :

## ضجة الموت

غير مجد ، في ملتي واعتقادي  
نوح باك ولا ترنم شاد  
وشبيه صوت النعي اذا قي  
س بصوت البشير في كل ناد  
ابكت تلكم العمامه ام غذ  
ت على فرع غمنها المياد

### ١) العرف : المعلوم .

صاح ! هاذی قبورنا تملأ الرح  
 ب فائين القبور من عهد عاد  
 خفف الوطء ما أغلن أديم الأر  
 ض الا من هاذه الاجساد  
 وقبیح بنا وان قدم المھ  
 د ، هوان الآباء والاجداد  
 سر ان اسطعت في الهواء رویدا  
 لا اختیالا على رفات العباد  
 رب لعد قد صار لعدا مرارا  
 ضاحك من تزاحم الأضداد  
 ودفين على بقايا دفين  
 في طویل الأزمان والآباءاد  
 تعب كلها العيادة فما أعز  
 جب الا من راغب في ازدياد  
 ان حزنا في ساعة الموت اض  
 عاف سرور في ساعة الميلاد  
 خلق الناس للبقاء (١) وضلت  
 أمة يحسبونهم للنفاد (٢)

---

(١) اي بقاء النفس بعد الموت .. هاذ الرأي يغيره ابو العلاء في  
 التزوميات وبعد العزلة ..  
 (٢) النفاذ : المقام ..

انما ينقلون من دار اعما  
ل الى دار شقوة أو رشاد

ضجعة الموت رقدة يستريح الى  
جسم فيها والعيش مثل الشهاد

قيلت هاذه القصيدة في رثاء أحد أصدقاء أبي  
العلاء المقربين ويدعى « أبو حمزة » : فقيه من  
فقهاء المذهب العنفي ، معتدل ، متساهل في أمر  
الاجتهاد ، متنسك ، خطيب يدعو الى الغير .

— رثا أبو العلاء الانسانية جماعه من خلال رثائه  
لصديقه هاذا .

— لاحظ كيف سيطر العقل فنهض من صميم  
الحادية الخاصة الى النظر الشامل في الحياة  
والاحياء . لاكنه ظل مندمجا بالعاطفة . . . فظلت  
الحكمة التي هي وليدة العقل مندمجة حارة  
كذاك .

— لاحظ أيضا صدق العاطفة حيث اختفى التصنع  
اللفوي الذي عرف به أبو العلاء . . . فانسابت

العاطفة انسيا با مع الكلم الموهوب والأسلوب  
الجنائي المتساوي المشبوب ٠٠ الخ (١) ٠

كان يسري في شرائين المعرى دم الشهيد ، وفي  
قلبه وروحه توق الى الاستشهاد ٠٠ طلبه كل يوم ٠٠  
وكل لحظة ٠٠ فعاش غريبا عن الاحياء قريبا الى  
الأموات ٠٠ الاحياء ٠٠ الى الشهداء الكبار أمثال  
سرطان وعلي والحسين ٠٠ يرى دماءهم تصبغ  
الافق كل مساء :

وعلى الأفق من دم الشهيدين علي ونبيل شاهدان  
فهمما في أوائل الليل بدران وفي آخر يانه قمران

كما كان يسري في عروقه أيام الشباب دم يغلي  
بالأمنيات العذاب ويفور بنشوة العز والمجد :

الا في سبيل المجد ما أنا فاعل  
عفاف واقدام وحزن ونائل

---

(١) لهذا القصيدة الرائعة تحليل موفق للباحث الناقد المعروف ادوار  
امين البستاني : اطلب كتابه : ابو العلاء المعرى : منتشر في  
الطبعات

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم  
باخفاء شمس ضوءها متكامل  
يهم الليالي بعض ما أنا مضر  
ويشل رضوى دون ما أنا حامل  
واني وان كنت الأخير زمانه  
لات بما لم تستطعه الأولان  
ينافس يومي في أمسي تشرفنا  
وتعسد أشعاري على الاصائل

ودم العروبة لا يزال يسري في كيان أبي الملاء  
فيتطلقه في سقط الزند بالرائع من الشعر الوطني  
العماسي ، قال يصف معركة بين العرب والروم :

فلا قول الا الضرب والطمن عندنا  
ولا رسول الا ذايل وحسام  
فان عدت فالمحروم توسي جراحه  
وان لم تعد متنا ونعن كرام  
فلما تجلى الأمر قالو تمنيا  
الا ليت أنا في التراب رمام  
ورامو التي كانت لهم واليهم  
وقد صعبت حال وعز مرام

وطنوك من يطفئ البرد ناره  
اذا طلعت عند الفروب جهام  
وانك تثنىها قبالة جلق  
متى لاح برق واستقل غمام  
وقالو : شهور ينقضين بفزوءة  
وما علموا ان القفول حرام ٠٠

اما فورة الفتوة وعنفوان الصبا والاقبال  
فيتجليان في وصفه ليلة حمراء من ليالي لهوه، اين  
منه وصف المبصرين :

رب ليل كأنه الصبح في الحس  
ن وان كان أسود الطيلسان  
قد ركضنا فيه الى اللهو حتى  
وقف النجم وقف العيران  
وكانى ما قلت والبدر طفل  
وشباب الشلام في العنفوان :  
يلتني هاذه عروس من الز  
نج عليها قلائد من جمان  
هرب النوم من جفوني فيها  
هرب الامن من فؤاد العبان

وكان الهلال يهوى الثريا  
فهما للوداع معنقار

وسيهل كوجنة " ب في اللو  
ن وقلب المحب في الغفان

يسرع اللمع في احمرار كما تسر  
ع في اللمع مقلة الفضبان

ثم شاب الدجى فخاف من الهج  
ر فنطى المشيب بالزعفران

وكانها في لا وعيه ظلال الالوان المفقودة  
يستحضرها حس التعدي .. و كانها ليلة تساوي  
ليالي المبصرين جميرا أو تفوقها .. أما اللون  
الاحمر فذكرى عزيزة تراوده فيلون به كل باهت  
من الالوان ..

اما العب فنعمة الاهيه . غق بها قلبه فعشق  
على السماع ، وناجي جارته في بغداد وأرسل اليها  
طيفه أو زاره طيفها ولا肯 العبيب لم يعشق على  
السمع .. فاختلت الفايتان ولم يتلاق العبيبان  
.. لاكن أبا العلاء ظل وحده يناجي الطيف ويرسل  
في سره القبلات التي لن يحاسب عليها لأنها لم

تكتب كما قال :

كم قبلة لك في الفسائر لم أخف  
منها العساب لأنها لم تكتب

وظل في مواجه حرمانه معلقا بين الرؤى والأحلام  
والطيف . . . ثم انقلب العب معبة . . . وعشق  
الفتى المعروم أمه . . . أو لم يجد غيرها حبيبا  
مخلصا وفيها . . . وأصابته عقدة أوديب . . . غير أنها  
لم تنفع بسوى العفة والطهارة ونبيل البنوة تجاه  
الأمومة المثلثي . . . وحق لثله أن يستريح على صدر  
أمه . . . أما نحن - الفارقين في تفاهات الدنيا -  
فلنا سراب الصدور الأخرى . . . حيث العنان المزيف  
. . . والعب المأجور . . .

وسرعان ما يرتد الفتى المعب عن كبرياته . . .  
طاويا في أعماقه أشواقه وأماناته . . . منسجا وهو  
القوى أمام الدهر الأقوى :

يا دهر يا منجز ايعاده  
ومخلف المأمول من وعده  
أي جديده لك لم تبله  
وأي أقرانك لم ترده

أرى ذوي الفضل وأضدادهم  
يجمعهم سيلك في مده  
تجربة الدنيا وأفعالها  
حشت أخا الزهد على زهده  
لو عرف الانسان مقداره  
لم يغتر المولى على عبده  
امس الذي مر على قربه  
يعجز أهل الارض عن رده  
أضحتى الذي أجل في سنه  
مثل الذي عوجل في مهده  
الى آخر هاذه النفيثات المستسلمة على كره واستعلاء  
٠٠٠ امام دهر لا يرحم ٠٠٠ وليل سرمدي لا يزول :  
عللاني فان بيس الأمانى  
فنيت والظلم ليس بفانى  
كم أردنا ذاك الزمان ب مدح  
فشلنا بذم ذاك الزمان  
ل لكن عاطفة الأبوة ظلت تواكبه وحب الوطن  
والمستضعفين لا يفارقه :

الناس للناس من بدو وحاضرة  
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

- ولو اني حبيت الغلد فردا  
لما أحببت بالغلد انفرادا

فلا مطلت علي ولا بارضي  
سحائب ليس تنتظم البلادا ٠٠

و كذلك حب العيون والأشياء :  
ولا تفجعن الطير وهي غوافل  
بما وضعت ، فالظلم شر القبائح

ودع ضرب النمل الذي يكرت له  
كواكب من أزهار نبت فوائض  
فما أحرزته كي يكون لنيرها  
ولا جمعته للندى والمنائج

اما جبابرة الارض فكانوا في نظره اهون من  
بعوضة وأحقر من ذبابة فقد أصبعوا في عصره وكل  
همهم « قطع السبيل على ضعيف » ومهاجمة النساء  
« ولم يغفو النساء من الهجوم » ٠٠

يسوسون الأمور بغير عقل  
فينفذ أمرهم ويقال : ساسة !

فأف من العيادة وأف مني  
ومن زمن رئاسته خسارة !

مثل هؤلاء لا تجوز اطاعتكم ولا دفع الضرائب  
لهم :

وأرى ملوكا لا تعوط رعية  
فعلم تؤخذ جزية ومكوس ؟!

فهو يرى بعسه الحضاري ، السابق لزمنه ، أن الملك  
أو الرئيس يجب طاعته ودفع الضرائب له اذا كان  
« يحوط الرعية » بعانته وينفق عليها مما دفعته  
له ، على شكل مشاريع وضمانات ودرء مخاطر ..

ومع هذا فهم يسمون بأسماء الله وتطلق عليهم  
صفاته كذبا وزلفي :

كذب الذي سمي الملك قاهرا  
نحن الأذلة والمليك القاهر

وكذاك يدعى طاهرا من كله  
نحس ، ويفقد في الانام الطاهر  
- لم ارض رأي ولاة لقبو  
ملكا بمقتدر وأخر قاهرا

هادى صفات الله جل جلاله  
فالحق بمن هجر الفواه مظاهرا  
كم قائم بعظامه متفقه  
في الدين يوجد حين يكشف عاهرا  
— ويقال الكرام قولا وما في المصر  
الا الشخصوص والاسماء ..  
— رويدك قد غرت وانت حر  
صاحب حيلة يعظ النساء  
يعرف فيكم الصهباء صبعا  
ويشربها على عمد مساء  
يقول لكم غدوت بلا كساء  
وفي لذاتها رهمن الكساء  
— نكذب العقل في تصديق كاذبهم  
والعقل أولى باكرام وتصديق  
— ما فيهم برو لا ناشك  
الا الى نفع له يجذب  
افضل من افضلهم صخرا  
لا تظلم الناس ولا تكذب

— أما إذا مادعى الداعي لكرمة  
فهم قليل ، ولاكن في الأذى حشد

— أعادل قد ظلمتنا الملوك  
ونحن على ضعفنا أظلم ..

والعل ؟ : طوقان يغسل الارض من دنسهم :  
والأرض للطوفان مشتبقة  
لعلها من درن تغسل ..

ولم تكن العيادة كما يريدها ولا الأحياء : فهي  
متعددة الوجوه ، وهم كذلك .. وليفعلوا به ما  
يشاؤون ، فالله وحده المتفضل المنقد :

صنوف هاذى العيادة يجمعها  
طول انتباه ورقدة وسنة  
دنياك لو حاورتك ناطقة  
خاطبتك فيها بليفة لسن  
ليفعل الدهر ما يهم به  
ان ظنونسي بخالقى حسنة  
لا تيأس النفس من تفضله  
ولو أقامت في النار ألف سنة

أما الفرق الدينية وقد تجاوزت في عصره  
السبعين عداؤ فهو يرفضها جميعاً ويقف بين بين :

لا تعيش مجبراً ولا قدريراً  
وأجتهد في توسط بين بينا

وقد وجد العقل والمعظ لا يجتمعان في هاده  
الدنيا فتمنى على الله أن يعكس المقادير والاقدار:

أيعكس هادا الغلق مالك أمره  
لقل العجى والمعظ يجتمعان ؟

ولنستمع معه الى حديث الارض :

غذاكم الله مني ثم عوضني  
ما لقيت ، فبالأجسام غذاني

وطئموني بأقدام واحذية  
فقد ادلت ، فتعتني من تعذاني

والى صاحبيه المريضين :

يا صاحبى اللذين استشفيا لضنى  
من تلواذان أو من تعوذان ؟!

بقراط ، عمرى ، وجالينوس ما سلما  
والعق انهم فى الطب فذان

ثم لا نسمع صوت المتنبي عبر هاذين البيتين :  
يموت راعي الصأن في جهله

ميتهة جالينوس في طبه ؟

أما الغمرة – وهي التي تذهب بالعقل – فأفضل  
منها كأس صاف من اللبن :

أفضل من أحمر السلاف ومن  
كميتها ، ناصع من اللبن

ويا لفروع الانسان حين يطمع بأخيه الانسان .  
ها هي نهايتهما سيان :

جاران : ملك ومحتاج أتسى زمن  
عليهما فتساوى البؤس والترف

ان تركب الغيل او تضرب مراكبها  
من عسجد فالى الفبراء تنصرف

والفقر أحمد من مال تبذره  
ان افتقارك مأمون به السرف

يعرى الفقير وبالدينار كسوته

---

(١) المصيون : وعاء تصان به الالباب .

والموت كعاطب ليل يغبط خبط عشواء  
فلنفوض أمرنا الى الله :

رددت الى مليك العق أمري  
فلم أسأل متى يقع الكسوف

فكم سلم الجھول من المنايا  
وعوجل بالعمام الفيلسوف

واياك والضفن فان آثاره تبدو على وجه  
صاحب :

وقلما تسکن الاضفان في خلد  
الا وفي وجه من يسمى بها كلف ..

ولا تفعل الغير تطبعا بل طبعا :

والغير يفعله الكريسم بطبعه  
واذا اللثيم سغا فذاك تكلف

ويطول بنا المقام - هنا - في تعداد روائع  
أبي العلاء ونفائته في مثانيه ومثالثه ورباعياته  
وقصائده . وحيثما لو رجعنا الى « سقط زنده » ،  
و « فصوله وغاياته » و « لزومياته » و « رسائله »  
ولا سيما « رسالة غفرانه » فهناك يطيب المقام وتعلو  
العاشرة ..

## عود على بدء :

أشرنا في حاشية الصفحة الأولى من هذا الكتاب الى أننا سنتبع في كتابتنا العربية القاعدة التالية (١) أولاً : ما لا يلفظ لا يكتب مثل : حذفو لم يعذفو لن يعذفو وهاكذا .

ثانياً : ما يلفظ يكتب بعرفه الأصيلة لا البديلة : كهذا ، مثلاً ، وليس ( هذا ) ، لكن ، وليس ( لكن ) الى آخره ..

نفعل ذلك - على الأقل - لرفع التناقض غير المبرر في الكتابة القديمة . فلماذا كتبوا - قديماً - ( هاته وماتان ) مع الألف الطويلة ، و ( هذه وهذان وذلك ) بدونها ؟ ثم استعاضوا عنها بمدة سموها خنجرية ! .. .. ..

لعلهم خافوا من التباس المعنى بين ( هتان )

---

(١) طبقنا شرطاً واحداً من شروطها وهو حذف الالف في الفعل الماضي لجميع المذكر ( كما في كتبوا ) والمضارع المجزوم او الملصوب ( كما في لم يكتبوا - لن يكتبوا ) طبقنا ذلك في كتابنا « ابن خلدون » الصادر عن دار مكتبة الهلال ١٩٧٩ - بيروت وها نعنطبق القاعدة كلها في كتابنا هاماً .

( صيغة المبالغة لانهmar الماء أو الدفع ) و ( هتان )  
( اسم الاشارة للمثنى المؤنث ) ٠٠ ولم يغافوه في  
( هذا أو هذه أو هذان ) ٠٠ مع انهم يعلمون أن  
اللغة العربية تفهم أولاً لتقراً وليس العكس ٠٠

لقد آن للحرف العربي أن يتعرّر - على  
الأقل - مما يشهو كمال لفظه وجمال صورته .  
وهناك من حولنا أمم غيرت حرفها تغييراً جذرياً  
ليتفق مع متطلبات العلم والفن العديدين ، وليسهل  
على المطبع المتطور رسمه أو سكه أو حفره أو  
صفه أو رصده ٠٠

واني لأمل من الزملاء - ومن جيل الطليعة  
بالذات - أن يعتمدوا هذه الطريقة في كتاباتهم  
العربية ، لا لأهميتها بعد ذاتها ، بل لأنها خطوة  
أولى على طريق تحرير وتطوير العرف العربي  
والكتابة العربية بكمالها ، ولما فيها من روح التحدى  
والرغبة في كسر التقليد الذي طالما أساء إلى العقل  
العربي وشده إلى الوراء ٠٠

### ملاحظة هامة :

تبين لنا ان هذا الشكل القديم للكتابة العربية

لم يكن معمولاً به الا في المشرق العربي . أما المغرب العربي فقد اعتمد قديماً ( وربما حديثاً ) الطريقة التي تدعو إلى اعتمادها في المشرق . . .

فقد طالعنا الباحثة الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي بحقيقة كنا نجهلها حين نوه في الصفحة ١٨ من الرسالة - المخطوطة لابن خلدون في التصوف بعنوان « شفاء السائل لتهذيب المسائل » والتي قام هو بتحقيقها ودراستها قائلًا : « يتصنف مخطوطتنا بما تتصف به المخطوطات المغربية من كتابة الكلمات التي تتميز عن كتابتها في الشرق عادة : فان الناء المربوطة يعرض عنها بناء طويلة : مراءات ، نجات ، مداوات . . . وان المغرب يضع كرسى ياء حيث الشرق يضع ألفا : سئل ( سآل ) يسئل ( يسأل ) . . . وبدل الألف المدودة يضع ألفا طويلة : روا ، يتراءا . . . ويكتب بعض الكلمات بصورة غير مقتضبة : لakan ، هاذا ، ذالك ، الخ . . . (١)

« تم الكتاب »

---

(١) اقترح اعتماد هذه الطريقة وعمل بها زميلنا وعييلنا المحقق المفروض الدكتور احمد اللواساني . اطلب كتابه « نظرات في تاريخ الادب » الجامعة اللبنانية - بيروت - ١٩٧١ .

## القهرس

٨	مقدمة
١٢	من لا شلام
٢٠	هذا في الادب
٢٨	الشامورية
٣٢	هل من حدانة في شعر ابن العلاء
٤٢	ابو العلاء والطنسة
٤٩	حياته
٥٢	كتبه
٥٤	السلفية
٥٨	المجتب الذاكرة
٦٥	الذاتية
٦٨	مؤلفاته
٧١	معنونه
٧٢	رسالة الغفران
٧٤	موضوع الرسالة
٧٧	رسائل ابن العلاء
٧٨	رسالة الملائكة
٧٩	ملهى السبيل
٨١	رسالة التذكرة
٨٢	خمس رسائل
٨٣	سبت الوليد
٨٤	الرسول والغافلية
٨٥	رسالة العناية
٨٦	نحو النابع
٨٧	رحلاته
٨٩	طريقة عيشه في مخترعه
٩٩	ابو العلاء والمقيدة
١٢٢	ابو العلاء والاديب المترنم
١٢٧	السلوب الادبي
١٣٤	العقل اعلم المعلم بل نبى
١٤٥	العقل اعلم ما مطلع
١٥٢	العقل اعلم انسان و النساء الانسانية
١٥٧	العقل اعلم الحياة الصالحة
١٦٢	هذا هو ابو العلاء
١٦٤	الى طلاب البكلوريا
١٦٧	موضوع شوتجي يصل
١٦٨	الاذكار الرئيسية - تشرح البيت
١٧٦	تشلوله
١٨١	اسلة القبيت في دورات بحثية في المحاولات
١٨٢	البكلوريا - فرع الطنسة
١٨٦	شواذ من رسالة الغفران
١٨٨	ومفت الجنية
١٨٩	منزل الخطينة في النص العنة
٢٠٥	شواذ من شهره - شهادة المعلم
٢٠٦	مود على بدء
	ملحظة على ملحة